الشرح غير مراجع من قبل د. مطلق الجاسر

عنوان المحاضرة

شرح الأصول الثلاثة (١)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

مطلق الجاسر

- حفظه الله -

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللّهم علمنا ما ينفعنا وارفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا واغفر لنا يا رب العالمين.

أما بعد:

فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجمعنا وإياكم على طاعته، وأن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح.

ونشرع اليوم بفضل الله وتوفيقه مع أول متون العقيدة التي سنتدارسها إن شاء الله ابتداء من اليوم، وسنبدأ بهذا المتن وهو متن: **"الأصول الثلاثة"** للشيخ محمد بن عبد الوهاب، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وهو متن: الأصول الثلاثة، فيه من المسائل ما لا يسع المسلم أن يجهله من مهمات العقيدة، وسنتمه بحول الله وقوته في ثلاثة أيام مقسمة على ثلاثة أسابيع كل خميس في مثل هذا الوقت إن شاء الله تعالى، هذا الخميس والذي يليه والذي يليه، ثم بعد ذلك نشرع في المتن الذي يليه، وهكذا، حتى يعني يوفقنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما يشاء من العلم.

(المتن)

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل.

(الشرح)

بدأ المصنف رسالته النافعة المباركة بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز، وبسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يبتدئ كتبه ومراسلاته مع الملوك بالبسملة، ولم يبدأ بعد ذلك بالحمد لله رب العالمين، لأنه لا يلزم ذلك لا سيما إذا كانت

هذه الرسالة صغيرة مختصرة، فإن بدأ بالبسملة فقد بدأ بذكر الله والبسملة تغني -إن شاء الله- عن الحمدلة.

(المتن)

يقول: اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل.

(الشرح)

بدأ بقوله: (اعلم رحمك الله) تنبيهًا لذهن الطالب على أهمية ما سيلقيه من مسائل.

اعلم: فعل أمر من العلم، يعني: انتبه، ويعني: افتح ذهنك وعقك وقلبك لما سيُتلى عليك من هذه المسائل النافعة المهمة.

(أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل)، ولم يقل: أربعة مسائل؛ لأن مسائل جمع مسألة وهي مؤنثة، والمؤنث إذا أراد أن يُشار له بالعدد يذكر العدد، فتقول: أربع مسائل؛ لأن أصل مسائل مسألة، ولم يقل: أربعة مسائل بخلاف إذا كان الجمع للمذكر فإنه يؤنَّث العدد، مثل مثلًا: سيارة مثلًا إذا تريد أن تجمعها، ما تقول: أربعة سيارات، تقول: أربع سيارات، أربع مسائل، فإذا أردت أن تجمع المذكر تؤنث العدد، فتقول مثلًا: كتب، أربعة كتب، واضح.

فإذًا العدد يخالف المعدود في التذكير والتأنيث، لذلك قال: أربع مسائل، ذكَّر لفظ: أربع؛ لأن كلمة: مسألة مؤنثة.

(المتن)

الأولى.

(الشرح)

هذه المسائل المهمة العلم.

(المتن)

الأولى: العلم: وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

(الشرح)

(الأولى: العلم)، يعني أنك قبل أن تفعل شيئًا في هذا الدين يجب أن تكون عالمًا بما تفعل، فهذا الدين من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دين العلم ودين المعرفة، ولا يُطلب منك أن تفعل شيئا أنت لا تعيه، ولا تعرفه، ما فيه شيء اسمه: أسرار، أو اسمه: افعل وأنت ساكت كما يقولون، لا، لابد أن تتعلم وأن تعرف، تعرف ماذا؟

(المتن)

قال: وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

(الشرح)

هذه الأمور المهمة التي يجب أن تعرفها، أولًا: يجب أن تعرف الله، وهو الأصل في هذا الدين؛ لأنه معبودك، وكيف تعبد شيئا لا تعرفه؟ كيف تعبد ربًا لا تعرفه؟ (ومعرفة نبيه) الذين أرسله لنا بهذا الدين العظيم لابد أن نعرفه، (ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)، هذه هي المسألة الأولى والمهمة الأولى والأصل الأول، وهو: المعرفة.

(المتن)

الثانية: العمل به.

(الشرح)

فلا يُكتفى بمجرد العلم، فالعلم بلا عمل وبال على صاحبه، فلابد من العمل بهذا العلم، فهو ثمرة العلم ومقصوده، وقد جاء في الحديث: **«أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»**.

وكذلك جاء في الحديث الآخر الذي فيه الوعيد الشديد، وفيه بيان أول من تسعر بهم الناس يوم القيامة أحدهم: عالم أو قارئ للقرآن يؤتى به فيقال له: **«ماذا فعلت؟»** قد آتيتك القرآن فماذا فعلت؟ فيقول: يا رب قرأت القرآن وعلمته فيك، يقول: **«كذبت، إنما تعلمت ليقال: قارئ، أو عالم، خذوه إلى النار»**، فالذي يتعلم لمجرد الرياء، ولمجرد المباهاة لا للعمل فهذا متوعد بالعقوبة، نسأل الله السلامة والعافية.

(المتن)

المسألة الثالثة: الدعوة إليه.

(الشرح)

بعد أن يمنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليك بالعلم وبالعمل لا يجوز أن تكون أنانيًّا وأن تبخل على غيرك بأن تدعوَهم إلى هذا الدين، فإذا وُفِّقْتَ للعلم ووُفِّقْتَ لتطبيق هذا العلم يجب عليك أن تدعوا غيرك لذلك.

فإذا وُفِّقْتَ للصلاة مثلًا، وعندك أخ، أو قريب، أو جار، أو زميل لا يصلي، كيف تمنع الخير عن جارك أو عن أخيك؟ هذا أمر لا يجوز.

(المتن)

الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

(الشرح)

كل هذه الأمور الثلاثة: العلم، والعمل، والدعوة تحتاج صبرًا، فإذا لم يتحلَّ الإنسان بالصبر فإنه لن يوفق في هذه المسائل.

(المتن)

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والدليل قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر:١-٣].

(الشرح)

الدليل على أهمية هذه المسائل الأربع أو هذه القواعد الأربع: سورة العصر، أقسَم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيها بالعصر قال: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾.

العصر: هنا المقسم به قال بعض المفسرين: هو وقت العصر الذي بعد صلاة العصر إلى المغرب، أو بين الظهر إلى المغرب.

وقال بعضهم: بل المقصود بالعصر أي: الزمن، أو الدهر، تقول: عصر الدولة الفلانية، وعصر الدولة الفلانية، على كل حال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقسم بما شاء من خلقه بخلاف المخلوق لا يجوز له أن يُقسم إلا بالله تعالى.

﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾: هذا المقسم عليه: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ يعني في خسارة، وفي خسار ﴿إِلَّا﴾ من هو المستثنى من هذه الخسارة؟، ومن هو الذي يعني لم يخسر وسينجيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

هم، قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

هؤلاء الذين سينجون بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الخسارة، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والإيمان من أول شروطه: العلم، العلم أول شرط من شروط الإيمان أن تعلم بماذا تؤمن، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وهذا العمل، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ وهذه الدعوة، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ وهذا الصبر.

فهذه السورة انظر كيف جمعت هذه القواعد الأربعة والمسائل الأربعة المهمة في هذا السياق؟ وعلقت نجاة الإنسان من الخسارة بتمسكه بهذه الأمور الأربعة.

(المتن)

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(الشرح)

الإمام الشافعي: محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي، إمام من أئمة المسلمين، شيخ الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو من العلماء الربانيين والأئمة المتبوعين، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٢٠٤.

(المتن)

يقول: لو ما أنزل الله حجةٍ على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم.

(الشرح)

انظر إلى هذه العبارة التي تدل على أهمية ما ورد في هذه السورة: لو ما أنزل الله حجةٍ على خلقه إلا هذه السورة -يعني سورة العصر- لكفتهم؛ لأنها تضمنت الدين كله، تضمنت الإيمان، تضمنت العمل، تضمنت الدعوة، وتضمنت الصبر، والصبر ثلاثة أنواع، الصبر المحمود ثلاثة أنواع:

⇦ **صبر على طاعة الله**، يعني: أن يصابر الإنسان نفسه على الطاعة ويجاهدها عليها، لأن الطاعة تحتاج صبرًا.

⇦ النوع الثاني: **صبر عن معصية الله**؛ لأن المعصية تجذبك للشهوات وللوقوع فيها، وبعدك عن المعصية يحتاج صبرا.

⇦ النوع الثالث: **صبر على أقدار الله المؤلمة**، كالمصائب والحوادث ونحوها، فالصابر في هذه الثلاثة محمود ممدوح، وهو المراد هنا في قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، يعني: تواصوا بالصبر على طاعة الله، تواصوا بالصبر عن معصية الله، تواصوا بالصبر على أقدار الله المؤلمة.

(المتن)

وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

(الشرح)

والبخاري: هو الإمام محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله الجعفي مولاهم، إمام من أئمة المسلمين، وهو أمير المؤمنين في الحديث، وصاحب الكتاب الشهير **"الجامع الصحيح"**، الشهير بـ: صحيح البخاري، الذي تلقته الأمة بالقبول، وهو من تلاميذ الإمام أحمد وقد أخذ عنه رحمة الله على الجميع، وهو من شيوخ الإمام مسلم صاحب الصحيح أيضا، وقد توفي البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة مائتين وستة وخمسين.

(المتن)

يقول البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: (باب العلم قبل القول والعمل).

والدليل قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[محمد:١٩]، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

(الشرح)

البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ميزات صحيحه: أنه أودع فقهه ودقيق استنباطاته في أبواب صحيحه في تراجم صحيحه، فمن أراد أن يعرف فقه الإمام البخاري فليقرأ تراجم

صحيحه، فإنه قبل أن يورد الأحاديث يذكر الترجمة يعني الباب بما يدل على فقهه، وعلى استنباطه، وعلى دقة فهمه وفقهه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

ولذلك خص بعض العلماء تراجم البخاري بالدراسة، يعني جمعوا تراجمه ودرسوها دراسة خاصة، يعني منهم الإمام ابن المُنَيِّر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: **"المتواري على أبواب البخاري"**، وغيره من العلماء إضافة إلى شرَّاحه شراح الصحيح، تكلموا كالحافظ ابن حجر في **"فتح الباري"**، وغيره تكلموا على تراجم البخاري في صحيحه.

من هذه التراجم يقول: (باب العلم قبل القول والعمل).

يعني لا ينبغي ولا يجوز أن تعمل قبل أن تتعلم، مثلا: بعض الناس يذهب إلى الحج، ولا يعرف شيئا عن الحج فهذا ما ينبغي؛ لأنه سيقع في أخطاء، وسيُتهاون في واجبات، وهذا لا يجوز، فلا ينبغي للمسلم أن يُقدم على شيء قبل أن يتعلم هذا الشيء، كمثلًا: رجل يريد أن يتزوج، قبل أن يتزوج لابد أن يعرف ما هي أحكام الزواج؟، وما هي حقوق المرأة؟، وما هي آداب العشرة؟ وما هي الواجبات وما هي الحقوق؟ قبل أن يُقدم حتى لا يقع في إشكال.

يريد أن يدخل في تجارة؟ لا يجوز أن يدخل في تجارة وهو لا يعلم ما هو الربا؟ وهل هذه المعاملة التي سيقدم عليها حلال أم حرام؟ لذلك قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **"لا أحل لرجل أن يدخل سوقنا ولا يعرف الربا"**.

يعني عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول ما يجوز أنك تدخل السوق يعني تدخل السوق كتاجر، أو كبائع ومشتري وأنت لا تعرف الربا؛ لأنك إذا ما عرفت الربا ستقع فيه ربما، إذًا هذا هو الأصل العلم قبل القول والعمل.

ثم قال: والدليل قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[محمد:١٩]، فالاستغفار عمل لكنه بدأ بأمرهم بالعلم قال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، وترتيب الآيات أو الكلمات في الآية الواحدة مقصود، ما هو الدليل على أن ترتيب الآيات مقصود؟

الدليل: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع: «ابدءوا بما بدأ الله به»، لما أراد أن يسعى بين الصفا والمروة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن بدأ بماذا؟ بالصفا ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾[البقرة:١٥٨].

لذلك ترتيب الآيات ليس عبثيًا مقصود، لذلك لو تأتي إلى آيات الوضوء آية الوضوء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[المائدة:٦].

ترتيب ركن كما جاء في الآية، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قلنا قال: «ابدءوا بما بدأ الله به»، وفي لفظ: «أبدأ بما بدأ الله به»، فدل على أن الله سبحانه إذا بدأ بشيء فهذا يدل على أنه مقصود ومن ذلك هذه الآية: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[محمد:١٩]، فتقديم العلم هنا مقصود وليس عبثيًا.

(المتن)

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل والعمل بهن.

(الشرح)

ما هي هذه المسائل؟ بعد ما انتهى من هذه القواعد الأربعة إن شئت أن تسميها أو المسائل الأربع، بدأ بمسائل ثانية جديدة، ثلاث مسائل جديدة، ما هي؟

(المتن)

الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا بل أرسل إلينا رسولا، فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار.

(الشرح)

المسألة الأولى: وهذا أمر مغروس في الفطر السليمة أن الله خلقنا ورزقنا، وهذا أمر يُسلِّم به الجميع إلا الجاحد والمكابر، ولكنه سبحانه لم يتركنا هملًا كما يدعي البعض في هذا الزمان ممن يسمون بالربوبيين، هؤلاء يقولون وهم من فئة اللا دينيين، يقولون: هناك خالق ولكن هذا الخالق لم يرسل لنا الرسل، وتركنا، كل إنسان يعني يفعل ما يشاء وهذا ضلال.

هنا يقول: (ولم يتركنا هملًا، بل أرسل إلينا رسولًا).

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما تركنا مهملين، لذلك قال سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾[القيامة:٣٦]؟ أبدًا، ويقول سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[المؤمنون:١١٦].

(المتن)

قال: بل أرسل إلينا رسولًا، فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار.

والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾[المزمل:١٥-١٦].

(الشرح)

يقول سبحانه هنا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾، وكما نعلم جميعًا: أن الرسل والأنبياء السابقين كانوا يبعثون على أمم خاصين، لماذا؟

لأن هناك رسول سيأتي بعدهم يبعث إلى الأمم الآخرين، فلما أراد أن يختم الرسالات بمحمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعله للناس كافة، وأنزل له رسالةً وشريعةً تصلح لكل زمان ولكل مكان، ولكل عصر، وهي رسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهي مرسلة إلى الإنس، والجن، والعرب، والعجم.

فإن قال قائل: إذا كان محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أُرسل إلى الناس كافة، فلماذا جاء القرآن باللغة العربية ولم يأت بلغةٍ مثلًا أخرى؟ أو لماذا لم يأت بلغات الناس؟

الجواب: أن اللغات لا تنتهي وأنه إذا أنزل الله لو سلمنا جدلا أن الله سبحانه أنزل لكل لغة قرآنًا فكيف يفعل أو ماذا يفعل من نشأت لهم لغة جديدة وهذا وارد ولا لا؟، الآن اللغات تتجدد إما جزئيًّا أو كليًّا.

وربما تظهر لغات جديدة، وهناك لغات تنقرض، وهناك لغات تولد فماذا نفعل بهؤلاء؟ **هذا الأمر الأول**.

الأمر الثاني: لماذا لا يوجد أي داعي لذلك؟ لماذا؟ لأن هناك من يترجم هذا الكلام إلى أي لغة تشاء كما يحدث الآن، وهذا كان يحدث قديمًا، هذا الأمر الثاني.

الأمر الثالث: اللغة العربية من أصلح بل هي أصلح لغة ينزل القرآن بها، لماذا؟ لأنها لغة عميقة ذات دلالات واسعة ومعانٍ دقيقة، يعني ربما تجد للفعل الواحد عدة أسماء كل اسم يدل على شيء يختلف عن الشيء الآخر بشيء يسير، مثل المشي مثلًا لما تأتي للغة الإنجليزية كيف يعبرون عن المشي؟ يعبرون بربما كلمة أو كلمتين.

لكن تعال لأسماء المشي في اللغة العربية تصل إلى عشرة أسماء، بدئًا من النشر البطيء إلى الركض، الرمل، والنَّص، والعلَق، والهرولة، والركض ... أسماء كثيرة، الشيء الواحد يذكرون له أكثر من اسم، وكل اسم له معنى دقيق يختلف عن الاسم الثاني.

وهذه اللغة العميقة الدقيقة جدا إذا نزل بها القرآن سيكون الأمر سهلًا لأن يُترجم إلى أي لغة أخرى، ولأن يُدرس، ولأن يُحفظ، لذلك حفظ اللغة العربية والعناية بها من حفظ القرآن، فهذه يعني ليست طعنًا وليست شبهة واهية.

فنقول: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يختر اللغة العربية؛ لأن العرب مثلًا مقدمين أو أنهم جنس مختار، والعجم أو غير العرب ليسوا كذلك، لا، اختار الله اللغة العربية؛ لأن النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان عربيًّا، ولأن العرب في ذلك الزمان كانوا أهل فصاحة وأهل بيان؛ ولأن اللغة العربية هي اللغة الصالحة الوحيدة لأن تحافظ على القرآن ويمكن أن تترجم هذه اللغة إلى أي لغة من لغات العرب، فلن يُحرم أحد من غير العرب من تعلم القرآن بسبب اللغة، فإن الترجمة متيسرة كما لا يخفى.

(المتن)

الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب ولا نبيٌّ مرسل.

(الشرح)

لا شك الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يرضى أن يُشرك معه أحدٌ في عبادته، ليس فقط أن يُترك وأن يُعبد غيره لا حتى لو قلت: أنا أريد أن أعبد الله وأعبد معه غيره، فهذا شرك.

ولذلك يقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن الله يرضى لكم ثلاث: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا**».

وكذلك يقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: يقول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**».

(المتن)

لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨].

(الشرح)

المساجد: هي مواضع السجود، مواضع السجود للصلاة والعبادة وذكر الله سبحانه، **وقيل في المساجد هنا**: أي مواضع السجود في الإنسان، يعني الجبهة واليدين والركبتين فالمساجد لها معنيان يعني موضع السجود من الأرض مثل هذا يسمونه مسجد؛ لأنه مكان يُسجد فيه لله تعالى.

والمعنى الثاني في المساجد: يعني مواضع السجود في الإنسان، مساجد الإنسان: يعني ما يسجد به لله تعالى، وكلا المعنيين صحيح، فالمساجد بمعنى أعضاء الإنسان من الذي خلقها؟ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فكيف يُسجد بها لغيره؟ كذلك الأرض التي تسجد بها لغير الله -يا أيها المشرك البعيد- هي لله، الله خلقها كيف تسجد بها لغيره؟! هذا هو الضلال المبين.

ولذلك يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ ملك لله خلقها الله ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨] يعني: فلا تعبدوا مع الله أحدًا.

(المتن)

الثالثة: أن من أطاع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووحد الله لا يجوز له موالاة من حادَّ الله ورسوله ولو كان أقرب قريب، والدليل قوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة:٢٢].

(الشرح)

فهنا من أطاع الله ووحَّده وعبده لا ينبغي له ولا يجوز ولا يستقيم أن يوالي من حاد الله ورسوله، وهنا الموالاة ما معنى الموالاة؟ **الموالاة في اللغة**: تأتي بمعنى القرب، لما تقول: هذا الشيء يلي هذا الشيء يعني ماذا؟ يعني قريب منه، ونحن نقول في لغتنا نقول: اسمع مني ما يلي، يعني ما يأتي ما هو قريب.

■ **أما الموالاة في الاصطلاح** أو في المنهي عنه هنا: فهي بمعنى النصرة والمحبة، فالمسلم لا يوالي يعني لا ينصر ولا يحب من يحادُّ الله ورسوله، لا يقف معهم في كفرهم، ولا ينصرهم على ما هم فيه ولا يحب ما هم فيه.

◄ **ولكن هنا مسألة مهمة** تختلط على بعض الناس وهي: أننا لما نقول: أننا لا نوالي أعداء الله لا يعني أن نظلمهم، أو نسيء إليهم فهذا شيء وهذا شيء آخر.

ولذلك يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

فيجب أن تفرق بين أمرين:

⇦ أن تفرق بين الكافر المحارب الذي رفع لواء الحرب بيننا وبينه.

⇦ وبين الكافر المسالم الذي لم يرفع لواء الحرب بيننا وبينه.

أما المحارب فهذا معتدي والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمرنا أن نقاتل من يعتدي علينا، فالمسلم ليس مهضوم الجناح ولا ضعيفًا بحيث يعتدي عليه المعتدي فيتركه فيعتدي عليه، أبدًا.

لذلك المتتبع لسيرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغزواته يجدها كلها ترى رد اعتداء بدءًا من غزوة بدر، كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج ليسترجع الأموال التي سرقها أهل مكة من أصحابه الذين هاجروا، غزوة أحد الذي غزا وهجم على المسلمين هم المشركون، الخندق كذلك الذي غزى وهجم هم المشركون، وهكذا.

غزوة مؤتة لما قُتل سفير النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونُقض العهد وأُهين المسلمون هجم عليهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهكذا.

فنجد أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكافر المسالم لم يتعرض له، بدليل: أنه أول ما دخل المدينة كان فيها يهود، فماذا فعل هل قتلهم؟، هل طردهم؟ أبدًا كتب معهم اتفاقية صلح، حدد الحقوق والواجبات بينه وبينهم وعاشوا بسلام، ولكن هم الذين نقضوا العهود فلما نقضوا العهود طردهم، ولما همُّوا بقتل المسلمين قتلهم، وأيضًا انظر قمة الإنصاف أن قبيلة من اليهود التي نقضت لم ينقض النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عهد القبائل الأخرى.

فبنو قينقاع مثلًا أول من نقض العهد طردهم هم لوحدهم، وترك بني النضير وبني قريظة، ما قال: أنتم كلكم يا يهود خلاص، لا، الذي نقض هو الذي يُعاقب، كذلك بنو النضير عاقبهم وحدهم، كذلك بنو قريظة، إذًا ليس المسلم علاقته مع غير المسلم لمجرد أنه كافر يجب أن تكون علاقة عدائية.

نعم، الكافر نُبغِض ونكره كفره وعقيدته ولكن إذا كان مسالمًا لا ينهانا الله عن أن نبرَّه وأن نقسط إليه، ولكن لا نواليه، بمعنى: لا نتخذه حبيبًا، حميمًا، صديقًا.

يعني أنا أعاملك معاملة حسنة فليس بالضرورة أن أواليك تكون حبيبي وصديقي، ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول في سورة آل عمران: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾[آل عمران:١١٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠]، ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾[المائدة:٥١]، والآيات كثيرة جدًّا في ذلك.

فينبغي أن يكون نظرنا متوازنًا، لا نأخذ هذه الآيات ونقول: كل كافر أنا أعاديه وأضرُّه وإذا رأيته ربما أضربه! لا، وليس معناه: أن تفتح معهم حبال الودِّ وأبواب المحبة، وإنما تكون متزنًا، المعتدي منهم يرد اعتداؤه، والمسالم منهم يُترك، وتُحسن معاملته، لكن إحسان المعاملة لا يعني بالضرورة ماذا؟ الموالاة.

فهنا يقول: أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حادَّ الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب، وذكر الآية: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة:٢٢].

□ **فهذه الآية تدل** على أن الرابطة الإيمانية أقوى من الرابطة النسبية، أو كما يقولون: الرابطة الدينية أقوى من الرابطة الطينية، الرابطة التي أصلها الدين أقوى من الرابطة التي أصلها الطين.

ولكن هذا لا يعني: أن الإنسان لا يجتهد في بر والديه أو في نصيحتهم إذا كانوا مشركين، بل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[لقمان:١٥].

(المتن)

ثم قال: اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم: أن تعبد الله مخلصًا له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]. ومعنى يعبدون: يوحدون.

(الشرح)

قد روي ذلك عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد قال ابن عباس: كل موضع في القرآن فيه اعبدوا الله فمعناه: وحِّدوا الله، وجاء أيضا عبادة الله: توحيد الله.

(المتن)

وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وهو: إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك، وهو: دعوة غيره معه.

(الشرح)

لا شك أعظم ما يطاع الله به التوحيد، وأشنع ما يُعصى الله به الشرك، لذلك من لطيف دعاء بعض السلف أنه كان يقول في دعائه: اللّهم إني قد أطعتك في أحبِّ الطاعات إليك، وهو التوحيد، ولم أعصك في أبغض المعاصي إليك، وهو الشرك، فاغفر لي ما بينهما، يعني طعتك يا رب في أعظم طاعة، ولم أعصك في أعظم معصية، فاغفر لي ما بينهما.

(المتن)

والدليل قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء:٣٦].

فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟

(الشرح)

الآن نرجع إلى الأصول الأولى التي ذكرها الشيخ: العلم، العمل، والدعوة، والصبر. ونأخذ الأولى، الأولى: العلم.

قال: (معرفة الله، ومعرفة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)، أولًا: معرفة الله.

(المتن)

فقال: فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها.

(الشرح)

وهذه الأصول هي التي سيُسأل عنها الإنسان في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك يا إنسان؟ فالمؤمن يقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما المشرك والمنافق فيقول: "ها، ها، لا أدري.

(المتن)

فهنا يقول: فقل: معرفة الله ربه ودينه ونبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله الذي ربَّاني وربى جميع العالمين بنعمه.

(الشرح)

ربي الله الذي رباني، والتربية ما معنى التربية؟ مأخوذة من رَبَى الشيء، وربى بمعنى: نمى وكبِر، فنحن وكل مخلوق الذي ربَّاه هو الله، يعني الذي كبره بعد أن كان صغيرًا، وقواه بعد أن كان ضعيفًا، فكل إنسان منا كان في يوم من الأيام عدما ثم كان جنينًا ضعيفًا لا يستطيع أن يأكل طعامًا ولا شرابًا، فمن الذي أطعمه؟ ومن الذي سقاه في بطن أمه؟ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ليس أحد من المخلوقين، من الذي مدَّ له هذا الحبل السُّري الذي يغذيه

طيلة وجوده في بطن أمه؟، ثم من الذي أمر بإخراجه من هذه البطن ومن ظلمة البطن؟ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم من الذي جعل له جهازًا تنفسيًّا يتنفس به؟ وجهازًا هضميًا يأكل به؟ وعينًا يرى بها؟ ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[البلد:٦-١٠]؟ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بل إلى الآن يُكتشف خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في جسد الإنسان، فبعد أن تعرف وأن تعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي أعطاك كل هذه الأشياء ثم بعد ذلك تتجاهله وتعصيه، أو تبتعد عنه، أو لا تعبده، أو تعبد غيره؟ فهذا هو الضلال المبين.

(المتن)

فقل: ربي الله الذي رباني، وربى جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه.

(الشرح)

كيف أعبد وأتوجه بالعبادة لمن لم يفعل لي شيئًا من ذلك أعبد من لا يسمع ولا يبصر. ولا يغني عني شيئًا كيف هذا؟ لا يُعقل، فما يستحق العبادة إلا من أوجدك من العدم، ومن ربَّاك، ومن قواك، ومن أطعمك، ومن سقاك، هذا هو الذي يستحق العبادة.

(المتن)

والدليل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢].

(الشرح)

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رب العالمين، والعالمين من هم العالمون؟ العالمون جمع: عالَم.

(المتن)

قال: وكل من سوى الله عالم.

(الشرح)

فالكون كله ما عدى الله كله مخلوق لله، وكله يعتبر مربوب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

قال: وأنا واحد من ذلك العالم، فإذا قيل لك بم عرفت ربك؟.

(الشرح)

أنت الآن تعبد الله فكيف عرفت الله؟، كيف عرفت أن الله هو الذي خلقك وهو الذي رزقك بم عرفت ربك؟

(المتن)

فقل: بآياته ومخلوقاته.

(الشرح)

(بآياته)، وآيات الله نوعان:

- آيات كونية.
- وآيات قرآنية شرعية.

فنحن عرفنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالفطرة أولًا، كل إنسان مفطور على معرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكل إنسان يولد ما هي الفطرة حتى الفطرة ترى هذه بالمناسبة أُثبتت علميًّا، وعلماء الاجتماع وعلماء النفس أثبتوها أن كل مولود يولد وفي نفسه قدر من المعلومات، وقدر معين من المعرفة التي يعرف فيها الحق من الباطل.

➢ **بدليل**: أن الطفل الصغير الذي لم يكمل يومًا يعرف كيف يمصُّ ثدي أمه، صح أم لا؟ يعرف، ومن أدرى هذا الطفل أن الثدي يمص بهذه الطريقة، وأن الحليب يمص بالفم؟ ليش ما قرب أذنه مثلا ليش ما قرب عينه صح أم لا؟ من أدراه؟ من علَّمه؟ قال: هذه الفطرة، لذلك أُثبتت هذا الشيء، وهذا من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن وضع لنا مادة هي الفطرة السليمة التي يستطيع للإنسان أن يعرف بها ربه.

وهذه الفطرة إذا لم تتلوث ولم يُعبث بها ستظل سليمة، وسينتج ذلك التوحيد، لذلك يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه»**.

يعني لو تُرِك الإنسان دون تدخل ودون إملاء للعقائد، ونشأ دون أي مؤثر، سينشأ موحدًا سينشأ موحدًا وسيعرف ربه، لكن ما الذي جعل هؤلاء الناس نصارى ويهود؟

تدخل الوالدين، الآباء هم الذين يتدخلون معهم في ذلك، **فلذلك أول ما يمكن معرفة الله ﷻ به الفطرة.**

ثم الأمر الثاني: العقل.

العقل الذي أعطانا الله ﷻ إياه فيه قاعدة من خالفها معناه: أنه ما عنده عقل، وهي قاعدة: السبب والمسبب، الآن هذه الأغراض الموجودة على الطاولة هل أحتاج إلى ذكاء حتى أعرف أن فيه أحد وضعها أم لا؟

لما أقول مثلًا: لما تدخل إلى غرفة فيها أغراض، ستنتج فورًا أن هذه الغرفة قد دخلها شخص قبلك صح أم لا؟ لأنه من المستحيل عقلًا أن الأغراض هذه تطلع بروحها، صح أم لا؟ هذا أمر منطقي، أن هذه الأغراض ما يمكن أن تنشأ لوحدها لابد لها من موجد، لذلك قال سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾[الطور:٣٥].

الله هذه الأسئلة في القرآن يريد الله ﷻ بها تحريك عقولنا ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ﴾[الطور:٣٥-٣٦]، هذه الاحتمالات الموجودة.

- احتمال أنت أو أي مخلوق في الكون إما أن يكون أوجد نفسه.
- أو أوجده مخلوق مثله.
- أو أوجده من هو غير مخلوق.

احتمال أن أوجد نفسه هل هذا يدخل العقل؟ مستحيل، ما فيه شيء في الدنيا يوجِد نفسه ما يصير، لابد من أن يكون شيئًا آخر يوجِد شيئًا آخر، أمَّا هو يوجد نفسه؟ ما تصير.

طيب أن يوجده مخلوق آخر، نقول: طيب المخلوق الآخر من أوجده مخلوق آخر إلى متى؟ ما راح ننتهي، لابد أن يكون في نقطة يكون الذي أوجد أول مخلوق هو كائن غير مخلوق، صح أم لا؟

لأن إذا كل مخلوق مخلوق معناه: سلسلة لن تنتهي، سيستلزم ذلك التسلسل، والتسلسل يخالف العقل، ما يصير، لابد فيه بداية، لابد فيه نقطة بداية، لذلك الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قال: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ [الحديد:٣].

إذًا لم يبق لكل عاقل إلا احتمال واحد: أن الذي أنشأ الخلق هو كائن غير مخلوق، كل عاقل يصل إلى هذه النقطة وهو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، الله غير مخلوق بل هو الخالق، العقل إذا أعمل الإنسان عقله لن يصل إلا إلى هذه النتيجة.

وهي: أن خالق الخلق هو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فقل: بآياته ومخلوقاته، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾[فصلت:٣٧].

يعني هذه الشمس المتربعة في صدر السماء من خلقها؟ معقولة طلعت بروحها؟ مستحيل عقلًا، الذي يقول هذا الكلام مجنون، من أوجدها؟ مستحيل يكون أوجدها مخلوق مثلها؛ لأننا لا نرى أحدًا الآن يستطيع أن يخلق مثل الشمس، ما فيه، الشمس مستحيل أحد على وجه الأرض يخلق مثل الشمس، أو يصنع مثل الشمس؛ لأن الشمس أصلا أضعاف أضعاف حجم الأرض، كيف واحد في الأرض يخلق مثل الشمس؟ مستحيل.

طيب خلوا الشمس، المجرة اللي إحنا الأرض فيها أنت الحين لو تأخذ التصوير منك ثم يرتفع هذا التصوير إلى السماء، كل ما يصعد التصوير فوق كل ما أنت تصغر إلى أن تختفي، ثم منطقتك تصغر إلى أن تختفي، صح؟ ثم بلدك تصغر إلى أين تختفي، ولا زال التصوير يصعد فوق ثم تظهر الكرة الأرضية ثم تصغر إلى أن تختفي، لا تكون الكرة الأرضية إلا كنقطة ثم تصغر إلى أن تختفي.

طيب وأين هذا الذي يقول: وأين الله؟ ومن خلقه؟ وكذا، أنت اختفيت، وأثبت العلم الحديث أن مجرَّتنا هذه لا تُذكر أمام المجرَّات الأخرى الكونية وهو الخلق العظيم، من خلق هذا كله؟ تقول لي: مخلوق خلقها؟ مستحيل، أنت أصلًا ما تبين حتى تخلق خلقا خلقه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ولذلك قال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[الزمر:٦٧].

(المتن)

قال: الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته: السماوات السبع، والأراضون السبع، وما فيهن، وما بينهما. والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[فصلت:٣٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾[الأعراف:٥٤].

(الشرح)

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له الخلق وله الأمر، يعني الذي خلق الكون كيف ما يكون له الحق والأمر فيه؟! الآن بعض السفهاء يقولون: إحنا ما هو شرط نلتزم بأوامر الله، ما هو شرط، الذي يريد أن يلتزم يلتزم ما هو بكيفه.

طيب إذا ما نلتزم بأوامر الذي أوجدنا نلتزم بأوامر من؟ بكلام من؟ ما يصير، ما أحد له حكم إلا الذي خلق والذي أوجد ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤].

(المتن)

والرب هو المعبود، والدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا﴾[البقرة:٢١-٢٢].

(الشرح)

تلاحظ القرآن يتكلم عن المخلوقات حتى نُعمل عقلنا، القرآن كتاب يريدنا أن نعمل عقلنا، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يريد منا أن نعمل عقلنا، لذلك كم آية في القرآن؟ [أفلا تعقلون، أفلا

تتفكرون، أفلا تتذكرون] يريدك أن تُعمل عقلك، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ عرفت كل هذا يا إنسان؟ ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢].

أنتم تعلمون أنه مستحيل أحد غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق هذه الأشياء مستحيل، فلماذا وأنت تعلم هذه المعلومة تجعل مع الله نديدًا؟

(المتن)

قال ابن كثير: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة.

(الشرح)

وهذا أمر لا شك فيه ولعلنا نقف هنا، ونكمل إن شاء الله في الدرس القادم، هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

محاضرة بعنوان

شرح الأصول الثلاثة (٢)

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

مطلق الجاسر

- حفظه الله -

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فهذا هو المجلس الثاني من مجالس التعليق على رسالة **"الأصول الثلاثة"** للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن ينفعنا وإياكم بما نقول ونسمع.

(المتن)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان).

(الشرح)

طبعًا سبق معنا في أول هذه الرسالة القواعد الأربعة التي ينبغي على كل مسلم أن يعتني بها وهي: العلم، والعمل بهذا العلم، والدعوة إلى هذا العلم والعمل، والصبر على الثلاثة:

- ⇦ الصبر على العلم.
- ⇦ والصبر على العمل.
- ⇦ والصبر على الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وكذلك بين المصنف الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها وهي: معرفة الله، ومعرفة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

ثم بدأنا بالأصل الأول وهو: معرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعرفنا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا بل أرسل إلينا رسولا، فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، وبين أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الوحيد المستحق للعبادة، ثم وصلنا إلى هذه النقطة في بيان ما هي أنواع العبادة التي يجب صرفها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده لا شريك له؟

(المتن)

فقال: وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنه: الدعاء والخوف.

(الشرح)

الإسلام والإيمان والإحسان هي في الحقيقة مراتب الدين هي مراتب الدين، فالدين ثلاثة مراتب كما جاء في حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الشهير الذي جاء في الصحيح من حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

قال: «دخل علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفنا منه أحد، حتى جلس إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه ثم قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام» فسأل أولًا عن الإسلام، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا».

ثم قال: «صدقت، قالوا: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، قال: صدقت، فأخبرني عن الإحسان؟ قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

فهي مراتب أدنى المراتب: هي أن يقوم الإنسان بأركان الإسلام، وهذه قد يفعلها من يتسم بالنفاق قد يأتي بشعائر الإسلام الظاهرة وهو في الحقيقة غير مؤمن، وقد يفعلها المؤمن ثم تأتي مرحلة الإيمان بعد ذلك ثم مرحلة الإحسان، ولكن إذا ذكر الإسلام لوحده فإنه يشمل معنى: الإيمان والإسلام.

لذلك يقولون: "**إن لفظ الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا**".

يعني إذا قلت: هذا إسلام وهذا إيمان ذكرتهما معا إذا ذكرتهما معا في سياق واحد افترقا في المعنى، فصار الإسلام يطلق على العبادات والشعائر الظاهرة وصار الإيمان يطلق على ايش؟ على الاعتقاد القلبي، وإن افترقا يعني في الذكر وأصبح يطلق كل واحد لوحده

اجتمعا في المعنى، إذا قلت: هذا مسلم فقط تعني أنه مسلم ومؤمن، وإذا قلت: هذا مؤمن تعني أيضًا أنه مسلم ومؤمن.

(المتن)

لذلك قال هنا: مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

(الشرح)

أما الإحسان فهي درجة أعلى هي درجة أعلى من الإسلام ومن الإيمان، وقد بينها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، ثم عدد رَحِمَهُ اللَّهُ أنواع العبادة.

(المتن)

فقال: (ومنه) يعني من العبادة (الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى).

(الشرح)

هذه أنواع العبادة التي أمر الله عَزَّوَجَلَّ بها، أو هذه أمثلة ليست هي كل الأنواع هي نماذج من العبادة، فمنه: الدعاء، ومعروف الدعاء سيأتي بيانه إن شاء الله، وكذلك الخوف والخوف نوعان:

- **خوف طبيعي لا يعتبر عبادة**، وهذا كأن يخاف الإنسان من الأمور المضرة، فهذا لا نقول: أنه قدحٌ في عقيدة الإنسان، كأن يخاف الإنسان من العقرب، يخاف من الحية، فهذا ليس المقصود به هنا.
- **وهناك النوع الثاني**: الخوف العقدي إن صح التعبير وهو الخوف الذي لا ينبغي إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو أن تخاف من أن يضرك شخص ضررًا فعليا ولو بدون سبب دنيوي، بمعنى: أن يكون الإنسان مثلًا أن تخاف من الميت أن يضرك رغم أن الميت لا يضر، لكن تخاف أنه ربما سبب لك مثلا لعنةً أو سبب لك مرضًا أو تعتقد أن هناك من الناس من يضر.

وينفع من دون الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهذا النوع من أنواع الخوف لا ينبغي إلا لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولا يجوز صرفه إلا لله.

كذلك الرجاء، الرجاء نوعان أيضا:

⇦ رجاء مباح دنيوي.

⇦ ورجاء لا يجوز إلا لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فالرجاء المباح: أن ترجو من شخص أن يفعل لك معروفًا مثل كأن تقول لشخص: أرجوك افعل لي كذا وكذا مما يستطيعه، أن ترجو من الحي شيئًا يستطيعه فهذا لا بأس به، أما الرجاء الممنوع أو الذي لا يليق إلا بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فهو: أن ترجو من لا يستطيع شيئا تعتقد أنه يستطيعه كأن ترجو الميت أن ينفعك، أو يضرك، أو يضر عدوك مثلًا ونحو ذلك.

والتوكل كذلك، التوكل لا ينبغي ولا يجوز إلا لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهو تفويض الأمر لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ والرغبة والرهبة، الرغبة يعني: أن ترغب وأن تطمع في شيء، والرهبة كذلك، والخشوع، الخشوع: هو سكون القلب لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والخشية كذلك.

طيب ما الفرق بين الخشية والخوف؟

هناك عدة أقوال لكن لعل أقربها -والله أعلم- أن الخوف: هو إذا نفس الإيمان والإسلام إذا أطلق الخوف قد يشمل الخشية، وإذا أطلقت الخشية قد تشمل الخوف، لكن إذا اجتمعا فيقصد بالخشية: خوف مع علم، أما الخوف: فهو خوف بدون علم.

فإذا علمت خطر شيء معين، وعلمت ما سيحدث لك جراء هذا الخطر فأنت تخشاه، أما إذا أنت تخشى ضررًا دون تحديد ما هو هذا الضرر، أو تخاف من المستقبل مثلًا دون تحديد ما هو الضرر المتوقع منه فهذا يسمى: خوفًا، فهذا الفرق بين الخشية والخوف.

لذلك يقول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:٢٨]، الخشية منزلة أعظم من الخوف؛ لأنها أتت للإنسان تحصلت له من أثر العلم لما علم عظم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وعظمته وعلم مدى عقوبة العاصين، أو عقوبة الكافرين، أو علم عظم

رب العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وكيف أنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ شديد العقاب، وأنه منتقم، وأنه عزيز، وأنه جبار فيحدث له ذلك خشية من جراء هذا العلم.

والإنابة: الإنابة هي الرجوع والتوبة، فأناب يعني: تاب ورجع إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

والاستعانة: الاستعانة كذلك نوعان: استعانة جائزة واستعانة شركية، أي: الاستعانة بغير الله الاستعانة بغير الله نوعان:

- جائزة وهي أن تستعين بحي قادر على شيء يستطيعه، تستعين بشخص يساعدك في أي أمر من أمور الدنيا يستطيعه.

- أما الاستعانة غير الجائزة فهي الاستعانة بميت، أو الاستعانة بشخص في شيء لا يستطيعه فيه خارق من خوارق مثلًا الكون قد تستعين بشخص مثلا أن يحدث لك ولدًا أن يعطيك الولد مثلا، أو تستعين بشخص أن يعطيك أن ينزل لك الماء من السماء بأمر خارق لا يستطيعه أحد إلا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فهذا لا يجوز.

كذلك الاستغاثة والاستعانة والاستغاثة تشتبهان في طلب المعونة، لكن الاستغاثة تكون في أمر في دفع ضرر الاستعانة في جلب نفع، والاستغاثة في دفع ضرر، تقول: أستغيث بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يدفع عني الضرر، أن يدفع عني كذا.

وكذلك نفس الكلام الذي قلناه في الاستعانة يقال في الاستغاثة، لك أن تستغيث بإنسان في شيء يستطيعه ليدفع عنك ضررًا، لكن أن تستغيث بإنسان أن ينجيك من النار، أو أن تستغيث بإنسان أن يدفع عنك عذاب الله فهذا لا يجوز وهذا شرك؛ لأن هذا أمر لا يستطيعه إلا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

كذلك الذبح كما قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢].

نسكي: أي ذبحي، أذبح لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فلا يجوز أن أذبح لمخلوق وهذا من الشرك، وكذلك النذر، والنذر: هو التزام الإنسان عبادة لا تجب عليه بأصل الشرع.

طبعًا هذه أمثلة من أنواع العبادات وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى.

(المتن)

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨].

(الشرح)

المساجد اختلف المفسرون في معناها على قولين:

■ **القول الأول**: أن المقصود بها مواضع الصلاة، الأماكن التي يصلي بها الإنسان مثل ما نحن فيه الآن هذا يسمى مسجد أي هو موضع للسجود وموضع للصلاة، ولماذا سمي موضع الصلاة مسجدًا رغم أن السجود جزء من الصلاة ولم يسم مثلًا مصلى مثلًا، وسمي: مسجدًا؛ لأن أبرز ما في الصلاة السجود، وأوضح وضعية، وأوضح هيئة في الصلاة تدل على العبودية هي هيئة ماذا؟ السجود.

لذلك سمي مكان الصلاة بأبرز ما في الصلاة من عبادة وهو السجود، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**».

■ **القول الثاني في معنى المساجد**: هي أعضاء الإنسان التي يسجد بها، الأعضاء السبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان، مساجد؛ لأنه يسجد بها ويكون المعنى هنا: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾، يعني هذه الأعضاء التي تسجد لله بها خلقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فلا يجوز أن تسجد بها لغيره.

وعلى كل حال كلا المعنيين إن شاء الله صحيح المساجد سواء قلنا: هي مواضع السجود، أو قلنا هي أعضاء السجود فكلا المعنيين صحيح ولا تعارض بينهما إن شاء الله.

(المتن)

فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر.

(الشرح)

نعم من صرف عبادة لا تجوز إلا لله من صرفها لغير الله لا شك أنه أشرك مع الله، ولكن ينبغي أن ينتبه هنا إلى مسألة مهمة وهو: أنه لا يجوز لغير العالم أن يخرج إنسانًا من

الإسلام، ولو رأيته يفعل شيئا من الشرك، لماذا؟ لأن هناك قاعدة عند العلماء تقول: **"من ثبت إسلامه بيقين لا يزال عنه إلا بيقين"**.

فمن رأيته يفعل شيئا من الشرك ربما كان عنده مانع من موانع التكفير، ربما كان مكرها وأنت لا تعلم، صح، يعني إذا رأيت مثلا رجلًا من بعيد يسجد لصنم مثلًا، لا يجوز لك أن تقول: فلان هذا كافر على طول، لماذا؟ لأنه ربما هناك من يختبئ ويُشهر عليه السلاح وأنت لا تعلم.

فنحن نقول: هذا كفر، ولكن ليس كل من فعل مكفرًا يكفر على طول، لذلك القاعدة تقول: **"ليس كل من وقع في الكفر وقع الكفر عليه"**، لابد من إقامة الحجة، لابد من التأكد، هل أنت كنت فعلت هذا الأمر عن علم؟ فعلت هذا الأمر عن تأويل؟ فعلت عن هذا الأمر عن إكراه؟ باختيارك؟ بغير اختيارك؟ هل تعلم أن هذا مكفر أو لا تعلم؟، إلى آخر ذلك.

فنحن لما نقول: هذا الأمر شرك، هذا الأمر كفر، لا يعني أن كل شخص يفعله يعتبر كافرًا، ولذلك لا يجوز التسرع والمبادرة إلى تكفير المسلمين قبل إقامة الحجة ومعرفة الموانع ومعرفة الأمور التي تحيط والملابسات التي تحيط بهذا الفعل الذي فعله.

(المتن)

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[المؤمنون:١١٧].

(المتن)

هنا في قول الله سبحانه، وهذه جملة شرطية هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾.

طيب هذا القيد ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ هل معناه: أنه هناك إذا دعوت إله مع الله لك به برهان يصير الأمر عادي؟ نقول: لا، هذا القيد لا يسمى قيدًا، وإنما هو تسمى صفة كاشفة، بمعنى: أن كل من دعا غير الله فهو لا برهان له به.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾: ليس له حجة في هذه العبادة ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

(المتن)

وفي الحديث: «الدعاء مخ العبادة».

(الشرح)

الآن سيذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأدلة على الأنواع التي ذكرها من أنواع العبادة، وبدأ بالنوع الأول وهو الدعاء فقال: وفي الحديث: «الدعاء مخ العبادة».

هذا الحديث بهذا اللفظ رواه الترمذي، عن أنس، بإسناده عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، ولكن في إسناده ضعفا ففي إسناده عبد الله بن لهيعة، وعبد الله بن لهيعة قاضي، وعالم، وجليل، ولكنه اختلط في آخر حياته يعني تغير حفظه وتغير ضبطه، فمن رَوى عنه بعد الاختلاط لا يُقبل منه حديثه، فهذا الحديث انفرد به عبد الله بن لهيعة كما قال الترمذي: قال: **"لم يروه يعني إلا ابن لهيعة"** لم يأت إلا من حديث ابن لهيعة وهو إسناده ضعيف بهذا اللفظ.

ولكن صح بلفظ آخر عند الترمذي أيضا من حديث النعمان بن بشير، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «الدعاء هو العبادة». وهذا إسناده صحيح، إذًا هذا اللفظ ضعيف أو إسناده ضعيف، والصحيح الوارد جاء بلفظ: «الدعاء هو العبادة».

(المتن)

والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠].

(الشرح)

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾: هذا وعد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن يستجيب لكل من دعاه، فمن دعاه بصدق ومن دعاه بإخلاص فإن الله سيستجيب له، ولكن بعض الناس يخلط ويظن أن الاستجابة تعني تحقيق ما دعا به، وليس بالضرورة، قد

يريد الإنسان شيئا، مثلًا: قد يرغب الإنسان في وظيفة معينة ويدعو الله بها ليل نهار سنوات ربما لكنها لم تتحقق، فيسخط، ويقول: ربي لم يستجيب لي.

نقول: من قال لك أن ربك لم يستجيب لك؟! ومن قال لك: أن الاستجابة تعني تحقيق ما دعوت به فالاستجابة ثلاثة أنواع كما جاء في الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يستجيب للعبد ولكن إما أن يحقق له ما أراد، وإما أن يدخرها له يوم القيامة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها، لماذا؟ ربما يكون ما طلبته مضرًّا ليس مفيدًا لك فما يدريك أن هذا الذي تريده فيه خير لك، ربما لا ينفعك، وربما علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن من الخير أن لا يتحقق لك.

فبالتالي وعد الله محقق، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾: يعني أن الله سيستجيب، ولكن إما أن يستجيب بتحقيق نفس ما دعوت به، أو أو يدفع عنك سوءا كان مقدرًا عليك كان مقدر عليك تمرض، كان مقدر عليك يصير لك حادث، كان مقدر عليك يصير لك مشكلة، فلما دعوت بدعوة لم يستجبها الله لك بتحقيقها لم يحققها لك، فدفع عنك من الشر بأنك دعوت في يوم من الأيام بدعوة.

وقد، وهذا الخيار الثالث: يستجيب لك بأن تكون مدخرة لك كأجر تفرح به يوم القيامة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠].

وفي هذا دليل على أن الذي يعرض عن الدعاء فيه شيء من الاستكبار، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يطلب منك أن تدعوه ويعدك بالإجابة، فلماذا تستكبر ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

(المتن)

ودليل الخوف: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٧٥]. وأول الآية هو قول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٧٥].

ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف:١١٠].

ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[المائدة:٢٣].

(الشرح)

يعني: ولا تتوكلوا على غيره ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

ولما نقول: لا تتوكلوا على غيره لا يعني أن لا تبذل السبب؛ لأن التوكل على الله يعني أن تعلق قلبك بالله، ثم تعمل بالسبب، هذا التوكل الله، فمن علق قلبه بالله ثم لم يفعل سببا ليس متوكلًا يعني من طلب من الله وعلَّق قلبه بالله أن يرزقه الولد ثم لم يتزوج كيف سيرزقه الله الولد لا يعتبر هذا توكلًا، وكذلك من تعلق بالأسباب دون رب الأرباب فليس متوكلًا، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم، ليس هذا بمتوكل وليس هذا بمتوكل، المتوكل على الحقيقة من جمع الأمرين: علق قلبه بالله، ثم بذل السبب، علَّق قلبه ويقينه أن الذي سيحقق مطلوبه هو الله فقط، ولكن الله أمره أن يسعى، أمره أن يفعل، فمن يريد المال علَّق قلبه بالمال بأن الله هو الرازق، ثم يجب عليه ماذا؟

أن يسعى، وأن يعمل، وأن يكتسب، من أراد الولد عليه أن يتزوج، فالتوكل على الله يجب فيه الأمران:

- ربط القلب بالله وتعلق القلب بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- ثم بذل السبب.

وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق:٣] يعني: فهو كافيه حسبه يعني كافيه.

(المتن)

ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء:٩٠].

(الشرح)

وهذه الآية يمتدح الله ﷻ بها المؤمنين الذين ﴿ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ يعني: رغبا رغبة في رحمة الله، ورهبة من عذاب الله وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن أن يكون بين الرغب والرهب بين الخوف والرجاء، إذا غلب أحد الأمرين على الآخر اختل سيره لله، لذلك يقولون: أن المسلم ينبغي أن يكون رجاؤه ومحبته وخوفه كالطائر، الطائر له رأس وجناحان فرأس عبادة الإنسان المحبة، وجناحاه الخوف والرجاء.

والطائر كما تعلمون: إذا صار جناح أطول من جناح هل سيسير في خط مستقيم؟ لا راح يلف صح ولا لا إذا صار جناح أطول من جناح ما راح يمشي سيدا لن يمشي في الطريق المستقيم، فإذا طال الجناح اليمين راح يلف يسار، وإذا طال الجناح اليسار راح يلف يمين، متى يسير في طريق مستقيم؟ إذا تساوى الجناحان إذا ساوى هذا الجناح هذا الجناح في هذه الحالة فقط سيسير في الخط المستقيم.

كذلك الخوف والرجاء إذا غلب عليك الخوف وأصبح الخوف عندك غالبا على الرجاء أصبت بالقنوط ولن تسير إلى الله كما حصل عند البعض أصيب بشيء من القنوط واليأس، وأن الله لن يستجيب لي، وأن الله كذا، وأن الله كذا، ولن يُحسن الظن بالله فوقع في الخط.

الطرف الآخر: من غلب عنده الرجاء استسهل المعصية، ولم يرجع، ولم يتب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولم يخف من الله ويقول: إن الله سيغفر لي دون أن يتوب لن يسير أيضًا بخط مستقيم.

إذًا يجب عليك أن يكون خوفك ورجاؤك سواءً، ولكن قال بعض أهل العلم: ولكن إذا دنا الموت من الإنسان فإنه يغلِّب ماذا؟ يغلب الرجاء؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى**»، أما في صحتك وفي عافيتك يجب أن يكون الخوف والرجاء على حد سواء.

(المتن)

ودليل الخشية قوله تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾[البقرة:١٥٠]، ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ...﴾[الزمر:٥٤]، ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥].

(الشرح)

وقدم المعمول في هذه الآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ولم يقل: نعبدك ونستعين بك، لماذا؟ ليفيد الحصر. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يعني: ما نعبد إلا أنت، لما أقول لك: أعطيك دينارًا مثلًا لا يعني كلامي لا يفهم منه أنني لن أعطي غيرك، صح، لما أقول: أعطيتك دينارًا، أو أعطيت دينارًا كلامي لا يفيد أنني لا أعطي غيرك.

لكن لما أقول: أنت فقط أعطيك دينارًا، أو إياك أعطي دينارًا، في اللغة العربية إذا قدمت المعمول على العالم فيعني أنني لا أعطي غيرك، واضح، فلما نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يعني: ما نعبد غيرك، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يعني: لا نستعين بغيرك ولكن أي نوع من الاستعانة التي لا نستعين بغير الله فيها؟ هي الاستعانة التي لا تنبغي إلا لله، أما الاستعانة الدنيوية؟ كما قلنا: فهذا لا بأس به من القادر الحي.

وفي الحديث: **«إذا استعنت فاستعن بالله»**. كما جاء في الحديث الصحيح الشهير حديث ابن عباس: **«يا غلام إني أعلمك كلمات: أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك»**، إلى آخر الحديث، ومما جاء فيه: **«وإذا استعنت فاستعن بالله»**.

(المتن)

ودليل الاستعاذة والاستعاذة طلب العوذ، طلب النجاة، وطلب الحماية، وهذا لا يطلب إلا من الله، قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[الفلق:١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[الناس:١]، ودليل الاستغاثة.

(الشرح)

وكما قلنا الاستغاثة: هو دعاء المكروب، دعاء المهموم، هذه الاستغاثة الدعاء الذي يُطلب لإزالة ضرر أو لإزالة شر.

(المتن)

ودليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[الأنفال:٩].

ودليل الذبح: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣].

ومن السنة: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لعن الله من ذبح لغير الله».

(الشرح)

ولا شك أن اللعن أمره خطير فهو يعني: الطرد من رحمة الله تعالى.

(المتن)

ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[الإنسان:٧].

(الشرح)

هذا هو الأصل الأول: وهو الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومعرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة.

ثم عرَّف رَحِمَهُ اللَّهُ الإسلام، ما هو الإسلام؟ قال: (وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله).

(الشرح)

الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد الإسلام يعني الاستسلام، يعني الذل، يعني الخضوع، يعني أن تستجيب لأوامر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دون تكبر على هذه الأوامر، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب:٣٦].

والمؤمن إذا جاءه الأمر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أو من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: سمعنا وأطعنا، فهو استسلام هو استسلام لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالتوحيد، يعني بتوحيده بأن توقن وتعلم أنه لا إله إلا هو وتوحده وبربوبيته وبألوهيته وبأسمائه وصفاته.

(المتن)

والانقياد له بالطاعة.

(الشرح)

لا يكفي أن تستسلم بقلبك ينبغي أن تنقاد أيضًا لأوامره، وأن تفعل ما يريد، وأن تستجيب له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن تطيعه وتطيع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

قال: والبراءة من الشرك وأهله.

(الشرح)

لا يجوز أن يقول المسلم: لا فرق بيني وبين الكافر، لا فرق بيني وبين اليهودي، لا فرق بيني وبين النصراني، لا يجب أن تتبرأ من دينه، أن تتبرأ مما هو عليه، أن يتميز المسلم من غير المسلم، ولذلك نهينا حتى عن التشبه الظاهر بهم، نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن التشبه بغير المسلمين، ولكن أؤكد على ما ذكرته في الدرس الماضي: أن البراءة من الشرك وأهله، وعدم التشبه بهم لا يعني ظلمهم، ولا يعني الاعتداء عليهم، ولا يعني الإساءة إليهم، كما قال سبحانه: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾[الممتحنة:٨].

ولا يعني ذلك: محبتهم، وعدم التبرؤ منهم، فهنا أمران مهمان يمكن الجمع بينهما ليس مستحيلا، أن تتبرأ من طريقة الكافر، وأن تقر أنه مخطئ، وأن تقول: هو كافر وأنا مسلم، ولكن تعامله معاملة حسنة إذا كان ليس من المحاربين لا تعارض بين الأمرين، أما ما يقال أنهم يعني كلنا واحد وأننا وإياهم نعبد ربا واحدا فهذا لا يجوز، وهذا كلام خطير.

(المتن)

قال: وهو ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان.

(الشرح)

وقد سبق بيان ذلك قبل قليل، وكل مرتبة لها أركان فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام. هذه أركان الإسلام الخمسة التي لا يصح إسلام أحد من الناس إذا لم يقر بها.

(المتن)

فدليل الشهادة قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[آل عمران:١٨].

(الشرح)

هذه الآية العظيمة فيها شهادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على التوحيد، وفيها أن قرن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بين شهادته وشهادة الملائكة وشهادة أهل العلم، فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ﴾ أي: شهد الملائكة أيضًا، ﴿وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾ أي: شهد أهل العلم أيضًا، ولا شك أن هذه منزلة عظيمة جدًّا وهي أن يقرن الله شهادته بشهادة ملائكته بشهادة أهل العلم، فهي منقبة لأهل العلم أن الله استشهد بهم وجعل شهادتهم مقرونة بشهادته سبحانه، وشهادة ملائكته.﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ يعني: بالعدل، ﴿لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

(المتن)

ومعناها

(الشرح)

معنى الشهادة معنى: أشهد أن لا إله إلا الله، أو معنى: لا إله إلا الله.

(المتن)

أي: لا معبود بحق إلا الله [لا إله] نافيا جميع ما يعبد من دون الله، [إلا الله] مثبتا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته.

(الشرح)

"لا إله إلا الله": جملة مكونة من نفي وإثبات، النفي: **"لا إله"**، والإثبات: **"إلا الله"**، يعني وهذا تدل وتفيدنا فوائد عظيمة، منها: أن التخلية قبل التحلية، يعني قبل أن تؤمن بالله يجب أن تكفر بماذا؟ تكفر بكل من لا يستحق العبادة من دون الله، ولا يجوز أن تشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أحد تقول: **"لا إله إلا الله"**.

تلغي كل المعبودات تلغي استحقاق كل المعبودات وتثبت العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده لا شريك له، لا معبود بحق إلا الله لا إله نافيا جميع ما يعبد من دون الله، إلا الله مثبتا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه، لماذا نثبت العبادة لله وأنه وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المستحق للعبادة؟ لأنه وحده الذي خلقنا ورزقنا وأوجدنا فإنه سبحانه واحد في ربوبيته فاستحق أن يكون واحدا في ألوهيته، فإن توحيد الألوهية يستلزم عفوا توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

يعني: أن من وحد الله في ربوبيته وآمن بوجود رب خالق رازق مدبر يجب عليه عقلًا أن يوجه العبادة ماذا؟ لله وحده، لأن الإنسان كل إنسان لابد أن يكون معبود حتى لو زعم بخلاف ذلك، فالمسلم يعبد الله وغير المسلمين كل يعبد شيئا، ومن يدعي أنه لا دين له هذا كاذب؛ لأنه يعبد هواه، ويعبد عقله، ويعبد يعني المادة الذي يقول: أن الكون جاء صدفة ويعبد الصدفة كل إنسان يعبد.

فالذي لا يعبد الله يعبد غيره، فنحن نقول: لا معبود بحق إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فنحن نقول: أنت الذي تعبد الصدفة، وأنت الذي تعبد كذا لماذا تُوجه العبادة لهم رغم أن الخالق هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ فكيف تنزل عن هذه المرتبة العظيمة منزلة توجيه الألوهية والعبادة لله إلى المخلوق؟ من أولى الخالق أم المخلوق بالعبادة؟ لا شك أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الخالق هو الأولى بالعبادة.

(المتن)

قال: وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾[الزخرف:٢٦-٢٧].

(الشرح)

شوف نفى وتبرأ مما يعبد من دون الله ثم أثبت العبادة لله، قال: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ كأنها [لا إله]، ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ يعني: إلا الله، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف:٢٨].

جعل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كلمة التوحيد هذه باقية في عقبة، أي: في نسله وذريته عَقِبِهِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، ونحن من نسل وذرية إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عنده كما تعلمون إسحاق، وإسماعيل، فإسحاق هو أبو يعقوب ويعقوب هو أبو بني إسرائيل، وإسماعيل هو أبو العرب الذين جاءوا من ولده من عدنان وقحطان ومنهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإن عدنان من نسل إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وعدنان هو الذي جاء بالعرب المستعربة الذين هم: ربيعة، ومضر، وما تفرعت عنها من هذه القبائل كلهم من ذرية إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كذلك بنو إسرائيل أبناء يعقوب وأبناء إسحاق أيضا من ذرية إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

(المتن)

قال وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:٦٤].

ودليل شهادة أن محمدًا رسول الله قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾[التوبة:١٢٨].

(الشرح)

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني: من البشر. ليس من مخلوق من المخلوقات الأخرى يعني يفهمكم وتفهمونه ترونه وتقتدون به، فلو كان الرسول من غير البشر كيف يتسنى لنا أن نقتدي به، فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُضع نموذجًا لنا لنأتسي به فإنه

تزوج وله أولاد وله زوجة وخالط الناس وأوذي وشتم وضرب، وحصل له ما يحصل للناس، لماذا؟

حتى نعرف نحن كمسلمين كيف نتصرف إذا صرنا في نفس الموقف الذي صار فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه الحكمة العظيمة التي امتن الله عَزَّ وَجَلَّ بها أن جعل رسولنا منا ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ : حتى تعلمون، حتى تقتدون، حتى يتسنى لكم أن تقتدوا به.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يعني: شديد وشاق عليه عنتكم ومشقتكم، يعني لا يريد لكم المشقة، لا يريد لكم أن تشقوا، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: على هدايتكم، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

(الشرح)

وهذا معنى شهادة أن محمدًا رسول الله أن تطيعه فيما أمر، وأن تصدقه فيما أخبر، وأن تجتنب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، فخلاصتها ثلاثة أشياء:

- طاعته في الأوامر.
- وفي النواهي.
- أو إن شئت فقل شيئان خلاصة شهادة أن محمدًا رسول الله شيئان: الطاعة والتصديق.

أن تطيعه في أوامره بأن تفعلها، وفي نواهيه بأن تجتنبها، وأن تصدق ما أخبر عنه والذي أخبر عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أنواع:

منها ما مضى من قصص السابقين، ومنها ما يحدث الآن، ومنها ما سيحدث في المستقبل، وكلها يجب أن توقن بها وأن تصدق بها.

وأن لا يعبد الله إلا بما شرع: هو معنى الطاعة أن تطيعه في أوامره، وأن تجتنب نواهيه، وأن تعلم أنه لا يوجد طريق إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلا عبر النبي عليه الصلاة والسلام، ما في، لا يجوز لأحد أن يزعم أنه يستطيع أن يصل إلى الله من غير طريق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبدًا، تريد أن تتعبد الله، تريد أن يرضى عنك الله، تريد أن يحبك الله ليس لك إلا طريق واحد هو طريق النبي عليه الصلاة والسلام.

أما أن تخترع طرق وتبتدع عبادات، وتبتدع أشياء من عندك لم يأت بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلن تنفعك شيئا بل ستضرك؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أكمل الله له به الدين، كما قال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

فالذي يأتي بشيء من العبادات لم يأت به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنه يقول بلسان حاله: أن الدين لم يكمل، كأنه يقول: أن الدين ناقص وأنا أكمله الحين بهذه العبادة؟ نقول: لا، الدين كمل والعبادات كمُلت ولا يجوز أن تزيد على العبادات شيئا، ولا أن تنقص منها شيئا، تريد أن تتعبد الله، تريد أن تصل إلى الله ليس لك إلا طريق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولعلنا نقف هنا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سائل: حكم من ارتد عن الإسلام ظاهرًا فقط لأسباب كالتعذيب وغيره؟

الشيخ: طبعًا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾[النحل:١٠٦]، فلا شك أن المكره الذي أُكره على الكفر معذور، ولكن بثلاثة شروط:

⇦ **الشرط الأول**: أن يكون ما أُكره به شيئًا عظيمًا كقتل، أو قطع عضو، أو خطف ولد، أو انتهاك عرض، لكن إذا أُكره بشيء يسير يعني بضرب مثلًا، قالوا له: اكفر ولا نضربك كف أو كذا، ما هو مبرر، لابد أن يكون المكرَه به شديدًا لا يحتمل، قتل، قطع عضو، انتهاك عضو، فهنا له أن يقول: كلمة الكفر يعني دون إيمان بها، ولا يؤاخذ بذلك.

⇦ **الشرط الثاني**: أن يكون المكرِه له قادرًا على فعل هذا الشيء، أما إذا أتى رجل غير قادر فلا يُعتبر هذا اكراه.

⇦ **الأمر الثالث**: أن يغلب على ظنه، يعني المكرَه أن المهدد أو المكرِه سيفعل ما أكرهه به، فإذا اجتمعت هذه الثلاثة، كأن يأتي رجل بمسدس، وأنت تعلم أنه قادر على قتلك، ويغلب على ظنك أنه يفعله، ما فيه رقيب ولا حسيب، وقال لك: اسجد للصنم وإلا قتلتك، ماذا تفعل؟

طبعًا اختلف العلماء، اتفقوا على أنه يجوز أن يسجد حتى ينقذ نفسه من القتل، لكن اختلفوا في الأفضل: هل الأفضل أن لا يسجد حتى لو قُتل، ويعتبر شهيد، أما الأفضل أن يسجد حتى ينقذ نفسه؟

خلاف، رُوي عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن معنى كلامه: أن الأفضل إذا كان القضية قضية قتل أن لا يسجد حتى لو أدى ذلك إلى القتل، إذا لم يكن ورائه ناس، يعني: عائلة أو كذا سيضيعون من ورائه، قال: راح يكون شهيد.

وبعض العلماء قال: لا، بل الأفضل أن يستفدي نفسه.

سائل: هنا يقول: هل يجوز التقليد في العقيدة؛ لأني عندي اشكال في مسألة العذر بالجهل، وتقليد العامي، لعله يقصد العقيدة؟

الشيخ: وعلى كل حال: هناك خلاف بين أهل العلم في حكم التقليد في العقيدة، وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يجوز التقليد في العقيدة، وأن عقيدة الإنسان يجب أن تكون عن دراية، وعن علم، وعن اطلاع، ولا تكون عن تقليد، يعني يقلد الإنسان، ويقول: أنا عقيدتي عقيدة فلان وخلاص.

ولكن هذا الأمر وإن كان يعني ظاهريًّا من السهل النطق به، لكن تطبيقه صعب، لماذا؟ لأن كثيرًا من عامة الناس لا يملكون في تحصيل العلم في العقيدة، فنقول: الصحيح والله أعلم: أنه يجب على الإنسان أن يتحرى الحق والصواب فإن عجز فله أن يقلد حتى في المسائل العقدية من يثق به من أهل العلم.

سائل: يقول: اسم الكتاب **"الأصول الثلاثة"** أم **"ثلاثة الأصول"**؟

الشيخ: طبعًا هكذا وهكذا، مرة الأصول الثلاثة يقولون، والمعنى واحد لا يفرق كثيرًا.

سائل: يقول: ما هي الموالاة المخرجة من الملة؟

الشيخ: الموالاة المخرجة من الملة: هي نصرة الكافر على أخيه المؤمن، أن ينصر الإنسان الكفار على إخوانه المسلمين، نقول: هذا كفر، ولكن أعيد وأقول: القاعدة التي ذكرناها: **"أن ليس كل من وقع في الكفر وقع الكفر عليه"** والأمر يحتاج بسطًا أكثر من ذلك.

سائل: يقول: هل كلام المؤلف معرفة دين الإسلام بالأدلة موافق للمعتزلة؟

الشيخ: الجواب: لا، ليس موافقًا أبدًا بأي حال من الأحوال.

سائل: يقول: هل دعاء الميت بأن يدعو لي الله من الشرك الأكبر؟

الشيخ: طبعًا قبل أن تقول هذا من الشرك الأكبر هل هو من العقل أساسًا؟ أن تدعو إنسانًا ميتًا جاء في القرآن الكريم أن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[فاطر:٢٢]، فهل هو من العقل أن تسأل هل هو من الشرك الأكبر أم لا؟ هل هو من العقل أن تأتي لإنسان ميت تقول له: ادعو لي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا شك أن هذا من الضلال المبين، ولا شك أنه من الشرك.

سائل: يقول: هل الذبح عند حضرة السلطان أو رجل معظم يعتبر شركًا؟

الشيخ: هنا فرق بين الذبح لشخص تقربًا له في العبادة أو الذبح اكرامًا له، مثل: إنسان يأتيه ضيف فيذبح لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولكن ليكرم هذا الضيف، هناك فرق بينهما، الذبح: المقصود به: أن يُفعل ما كان يفعله المشركون قديمًا، أن يأتوا بالقرابين ويذبحونها عند رجل الصنم، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾[المائدة:٣]، يعني: يتقربون إلى هذا الصنم بهذا الذبح.

أما إذا ذبحت لإكرام ضيف، يعني أتاك ضيف، فذبحت له، أنت ما ذبحت له في الحقيقة تقربًا له، ولكن أنت ذبحت لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إكرامًا للضيف، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

سائل: يقول: طلب الله ﷻ من عباده الخوف في حين أن الخشية أسمى كما فهمت، كيف يكون ذلك؟

الشيخ: أنا قلت لكم: أن الخوف والخشية إذا اجتمعا يكون الخوف بدون علم، والخشية الخوف بعلم، لكن إذا أُطلق الخوف يكون له معنى الخشية، فلا اشكال في هذه الحالة.

سائل: يقول: التكفير بدليل، هل لنا أن نكفر أن من أنكر شيئًا من الأمور المعلومة بالضرورة، أو سب من مدحهم الله وبرأهم؟

الشيخ: طبعًا أنا قلت: التكفير ليس لعامة الناس، التكفير للعلماء ولأهل الاختصاص، ولا يجوز لأحد من الناس أن يبادر بتكفير أحد ثبت إسلامه بيقين.

سائل: يقول: شرح الآية: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨]؟

الشيخ: شرحتها في الدرس، قلت: أن المساجد فيها قولان:

- إما أنها مواضع السجود.

- أو يعني أعضاء السجود، ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، يعني في المساجد لا تسجد لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أو على القول الثاني: لا تستعمل التي خلقها الله لأن تعبد بها وتسجد بها لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وجزاكم الله خيرًا.

۞۞۞

محاضرة بعنوان

شرح الأصول الثلاثة (٣)

والأخير

شرح فضيلة الشيخ

عدنان عبد القادر

- حفظه الله -

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فهذا هو المجلس الثالث والأخير من مجالس التعليق على هذه الرسالة المباركة رسالة **"الأصول الثلاثة"** للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد وصلنا عند قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(المتن)

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة:٥].

(الشرح)

نحن لا زلنا في سياق بيان الإسلام لما قسَّم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الدين إلى ثلاث مراتب: [الإسلام، الإيمان، الإحسان] ونحن لا زلنا نتكلم عن الإسلام، وقد سبق أن قلنا أن الإسلام خمسة أركان، وذكرنا الدليل الأول دليل الشهادة الركن الأول من أركان الإسلام، ووقفنا عند الدليل دليل الصلاة والزكاة، وهو قوله سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾.

حنفاء: أي مائلون عن طرق الضلال إلى طرق الهدى، ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾.

(المتن)

ودليل الصيام قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:١٨٣]، كتب يعني: فرض.

ودليل الحج قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران:٩٧].

(الشرح)

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ﴾: هذه صيغة وجوب، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، وهذا التهديد تهديد خطير يدل على عظم فرضية الحج، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعدما دعا الناس إلى الحج قال: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

وقد جاء في الأثر: **"من كان عنده سعة ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديًّا ولا نصرانيًّا"**، نسأل الله السلامة والعافية.

(المتن)

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المرتبة الثانية)، أي: من مراتب الدين دين الإسلام، (الإيمان وهو بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان).

(الشرح)

الإيمان مرتبة من مراتب الدين وهي كما سبق أن قلنا: بينها وبين الإسلام علاقة أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، بمعنى: أن الإسلام والإيمان إذا ذكرا معا إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى، فيصبح الإسلام للشعائر الظاهرة والإيمان بالباطنة، وإذا افترقا وذكر كل واحد لوحده اجتمعا في المعنى، فإذا أطلق الإيمان دخل فيه الإسلام، وإذا أطلق الإسلام دخل فيه الإيمان.

«وهو بضع وسبعون شعبة» وهذا نص حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»**.

الإيمان عند أهل السنة والجماعة: **"قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان"**، فالإيمان يشمل القلب ويشمل العمل عمل الجوارح ويشمل اللسان، لذلك كل عبادة من عبادات هذا الدين شعبة من شعب الإيمان، فالصلاة من الإيمان والزكاة من

الإيمان والحج وكما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان**»، وهكذا.

فكلما ازداد الإنسان من الأعمال الصالحة كلما ازداد إيمانا، وكلما نقص من الأعمال الصالحة نقص إيمانه، لذلك يقول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما فرض الصلاة في سورة البقرة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾[البقرة:١٤٢].

طالب: ...

الشيخ: لا في [وما كان الله] الشاهد: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[البقرة:١٤٣].

فالإيمان المقصود في هذه الآية: هو الصلاة، فسمى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الصلاة إيمانًا؛ لأن الصلاة شعبة من شعب الإيمان فسماه: إيمان، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[البقرة:١٤٣].

(المتن)

والحياء شعبة من الإيمان.

(الشرح)

والحياء: خلق في الإنسان يحدث إذا استحضر نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، واستحضر تقصيره في جانب الله فينشأ من هذين الشعورين شعور الحياء، إذا استشعر نعمة الله عليه، واستشعر تقصيره يستحي من الله، ونلاحظ يا إخوة أمثلة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثلاثة كل واحد يشير إلى نوع من أنواع الإيمان فأعلاها قول: "**لا إله إلا الله**" وهذا قول اللسان، وأدناها: "**إماطة الأذى عن الطريق**" وهذا عمل الجوارح، "**والحياء شعبة من الإيمان**" وهذا عمل القلب.

فاجتمعت الثلاثة: الإيمان في القلب، واللسان، والجوارح في هذا الحديث.

(المتن)

قال: (وأركانه ستة). أركان الإيمان ستة: (أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره).

(الشرح)

أن تؤمن بالله هذا أعظم أركان الإيمان، والإيمان بالله يتضمن الإيمان بوجود الله سبحانه، ويتضمن الإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته.

(وملائكته): الإيمان بالملائكة يعني أن تؤمن:

⇦ بوجودهم، وأنهم مخلوقون، ولا تنكر وجودهم، فمن أنكر وجود الملائكة يكفر.

⇦ وأيضًا أن تؤمن بأسماء من ذكر الله ﷻ منهم كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وخازن الجنة، وخازن النار.

⇦ الأمر الثالث: أن تؤمن بما ورد من أعمالهم والمهام التي أوكلهم الله ﷻ فيها، فإن الله ﷻ أوكل بعض المهام لبعض الملائكة بأمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأوكل جبريل بالوحي، وأوكل إسرافيل بنفخ الصور، وأوكل ميكائيل بالقطر والأرزاق ونحوها، إلى آخره.

(وكتبه): أيضا الإيمان بالكتب يعني أن تؤمن أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنزل الكتب على الرسل، وأن تؤمن أن القرآن الكريم هو خاتم هذه الكتب والمهيمن عليها، وتؤمن بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنزل التوراة، والإنجيل، والزبور على موسى وعيسى وداود عليهم السلام، وصحف إبراهيم على إبراهيم.

(واليوم الآخر): اليوم الآخر يشمل من لحظة الموت وما بعده إلى الاستقرار في الجنة أو النار، كل هذه الأحداث تدخل في الإيمان في اليوم الآخر، وهي غيبية، فإنها في هذه الحالة تدخل في الإيمان في اليوم الآخر من الموت إلى الاستقرار في الجنة أو النار، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من النار وأن يدخلنا الجنة.

(وتؤمن بالقدر خيره وشره): تؤمن بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كتب الأقدار وشاءها وعلم بها وخلقها تؤمن بهذه المراتب الأربعة بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى علم الأقدار، وكتبها، وشاءها، وخلقها.

(المتن)

والدليل على هذه الأركان الستة: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[البقرة:١٧٧].

(الشرح)

﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾ يعني: ليس الخير والتقى ﴿أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ فقط ليس هذا هو المقصود، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ يعني حق البر:

- أن تؤمن بالله: وهذا الركن لأول،
- واليوم الآخر: الركن الثاني.
- والملائكة: وهذا الركن الثالث.
- والكتاب: الرابع.
- والنبيين: الخامس، الآية ذكرت خمسة أركان.
- بقي الركن السادس وهو القدر.

(المتن)

قال: ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩].

المرتبة الثالثة: (الإحسان) الثالثة من مراتب الإسلام: (الإحسان) ركن واحد وهو: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

(الشرح)

لا شك أننا لا نرى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكن إذا وصل الإنسان في الإيمان مرتبةً عاليةً جدًا فإنه كأنه يرى ربه سبحانه، كأنه يرى الجنة رأي العين، كأنه يرى النار رأي العين، كأنه يرى ربه سبحانه رأي العين، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

يعني: أنك إذا وفقت للإيمان والاستزادة منه والعمل الصالح والتقوى والبعد عن المعاصي تصل إلى مرحلة يسهل عليك العمل الصالح، وتعبد ربك كأنه يراك، وتراقبه وتستشعر مراقبته لك على جميع أوقاتك أو أحوالك وأزمانك.

(المتن)

والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل:١٢٨].

(الشرح)

المعية معية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لخلقه نوعان:

- معية عامة.
- معية خاصة.

المعية العامة: هي أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع الناس كلهم بعلمه، فيعرف ماذا يفعلون ويعرف ماذا يقولون، بل يعرف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ماذا خطر على قلوبهم ولم يتكلموا به.

أما المعية الخاصة: فهي معية الله لعباده المؤمنين بالتأييد وبالنصر وبالمعونة، وهذا هو المقصود هنا في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل:١٢٨].

(المتن)

وقوله سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[الشعراء:٢١٧-٢١٩].

(الشرح)

يعني: يرى صلاتك وقيامك في الليل، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[الشعراء:٢٢٠].

(المتن)

وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[يونس:٦١].

(الشرح)

فإذا استشعر الإنسان هذه المعاني، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ معه في الليل والنهار، في السر والجهر، فيما يأتي وما يذر في كل حركة في كل سكنة وفي كل كلمة ينطقها واستشعر هذا حق الاستشعار سيصل إلى مرتبة الإحسان ويعبد ربه كأنه يراه.

(المتن)

والدليل من السنة: حديث جبرائيل المشهور، عن عمر، رضي الله تعالى عنه.

(الشرح)

وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه، وأيضا رواه البخاري من طريق أخرى.

(المتن)

يقول عمر، رضي الله عنه: «بينما نحن جلوس عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد».

(الشرح)

يعني: دخل عليهم رجل ما يعرفونه، ولكن الغريب في الموضوع أنه جمع بين متناقضين: جمع بين نظافة الثياب وأنه ليس من أهل البلد؛ لأنه إذا كان ليس من أهل البلد فالمنطقي والطبيعي في ذلك الزمن أنه يكون يُرى عليه أثر السفر على الأقل، أما إذا كان نظيف الثياب يعني يكون من أهل البلد لكن هو ليس من أهل البلد ولا يرى عليه أثر السفر، فاستغربوا عليه، قال: لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد.

(المتن)

«حتى جلس إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه».

(الشرح)

جلس على ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وهذا فيه من الفوائد التأدب مع المعلم، والجلوس أمام المعلم جلسة المتأدب.

(المتن)

قال: وقال يا محمد: أخبرني عن الإسلام؟ فقال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا».

(الشرح)

ذكر الله أركان الإسلام الخمسة التي سبق شرحها، (فقال: صدقت)، وهذا أمر مستغرب، لذلك قال: (فعجبنا له يسأله ويصدقه)، لأن الذي يسأل عادةً يكون ما يعلم فإذا كان يقول: صدقت، فهذا يدل على أن عنده علم مسبق، فعجبنا له يسأله ويصدقه،

(المتن)

قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

(الشرح)

طبعا جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما يعرف أحد من الصحابة أنه جبريل كان متمثلًا بصورة رجل.

وهذا فيه من الفوائد: أن الإنسان قد يسأل السؤال ويعرف ولكن ليستفيد غيره، أحيانا تكون مثلًا في مجلس فيه أحد المشايخ وأنت تشعر أن أحد الجالسين يحتاج موضوعًا معينًا فأنت تسأل الشيخ سؤالًا تعرف جوابه حتى يسمع الجالسون، وهذا ما فعله جبريل بالضبط سأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الأسئلة وهو يعرف الجواب حتى يستمع لها الصحابة وينقلونها إلى الناس.

(المتن)

قال: "فأخبرني عن الساعة"؟ والساعة يعني يوم القيامة، قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل».

(الشرح)

المسئول يعني نفسه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنا ما أعلم منك أنا حالي حالك، علمي من علمك.

(المتن)

قال: "فأخبرني عن أماراتها"، والأمارة يعني العلامة ما هي علاماتها؟ فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان».

(الشرح)

ذكر له علامتين من علامات الساعة:

❐ **الأولى**: أن تلد الأمة ربتها، والأمة هي الجارية المملوكة، وربتها يعني سيدتها، وهذا أمر غريب كيف تلد المرأة من يصبح سيدًا عليها؟ لذلك اختلف العلماء في تفسير هذا الأثر، أو هذا الحديث، فقال بعضهم:

- المقصود: كثرة الفتوح، وكثرة السراري حتى تلد الأمة الملوك ويصبح الملك خليفةً على المسلمين ومن ضمن المسلمين أمه، وهذا حصل فالغالبية الساحقة من الخلفاء العباسيين أمهاتهم إماء، نادر ما يوجد خليفة من خلفاء العباسيين أو حتى الأمويين أمه ليست مملوكة.

- وقيل: من معاني هذا الحديث من علامات الساعة: كثرة العقوق، بحيث تصبح البنت من غلظها، ومن سوء خلقها كأنها سيدة على أمها، فتأمرها البنت وتنهاها -إحنا بهلجاتنا تمشيها يعني- وهذا من العقوق، وعلى كل حال هذا من المعاني التي قيلت وهذه من المعاني التي قيلت.

(المتن)

«وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان».

(الشرح)

يعني أن يأتي الحفاة: يعني الذين لا يرتدون النعل، العراة: الذين لا يلبسون الثياب، أو يلبسون الرديء من الثياب، العالة: يعني الفقراء، عالة على غيرهم، رعاء الشاء: يعني رعاة غنم، يعني: أناس حفاة يمشون في الصحراء دون نعل، عراة، عالة فقراء يرعون الشياه، ثم تجدهم يتطاولون في البنيان، يعني يتفاخرون في طول البنيان، وكل واحد يقول: أنا بنياني أطول من بنيانك، وأنت تقول: بنياني أقول من بنيانك، وهذا وقع ولا ما وقع؟ وقع، مشاهد.

فهناك من الناس من كان فقيرًا معدمًا كان في البر يمشي حافيا ثم ينعم الله ﷻ عليه من المال ثم يملك أصبح يملك العمارات، والأبراج السامقة في السماء والطويلة في السماء، ويتفاخرون بها، فهذا من علامات الساعة.

(المتن)

قال: "فمضى فلبثنا مليًّا" يعني فترة من الزمن، فقال: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم.

(الشرح)

وهذه بالمناسبة هذه الكلمة لا تقال إلا في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعني الله ورسوله أعلم، أما بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نقول: الله أعلم.

أما في حياته كانوا يقولون: الله ورسوله أعلم، أما الآن ما لنا أن نقول ذلك؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم إلا ما يطلعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه.

(المتن)

قال: «هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم».

ثم قال: الأصل الثالث.

(الشرح)

وهذا من الأصول الثلاثة.

- الأصل الأول: معرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- الأصل الثاني: معرفة الإسلام، الدين.

➢ الأصل الثالث: معرفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذه الأسئلة التي يُسأل عنها المرء في قبره: "**من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟**".

(المتن)

الأصل الثالث، من نبيك؟ هذا الجواب على هذا السؤال، فقال: معرفة نبيكم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

(الشرح)

محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو: [محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان]، هذا هو نسبه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وعدنان بن إسماعيل قطعًا ولكن لا يُعرف ما بين عدنان وما بين إسماعيل، لكن اليقين أن عدنان من نسل إسماعيل بن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أما بعد من بين عدنان وإسماعيل لا يُعرف، أو لا يُجزم هناك أقوال ولكن يروى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**كذب النسَّابون بعد إسماعيل**».

لكن المجمع عليه هو هذا النسب الذي ذكرته قبل قليل، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العرب وتحديدًا من قبيلة: كنانة، وكنانة من نسلها العرب لذلك النضر هو النضر بن كنانة، واختلفوا في قريش من هو جدهم؟ فهناك من قال: هو النضر، وهناك من قال: هو فهر بن مالك، وفهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وفهر يقال: هو قريش، فكل ولد فهر من قبيلة قريش.

على كل حال: كنانة الجد الأعلى ثم تحت كنانة فهر، وهو قريش، وكل ولد فهر من قبيلة قريش، تحديدًا من بني هاشم فَخِذ أو جزء من قريش، وهاشم من قريش وقريش من

العرب والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

والعرب طبعا كما تعلمون ثلاثة أنواع:

- عرب بائدة.

- عرب عاربة.

- عرب مستعربة.

◄ **أما العرب البائدة**: هم من بادوا كعاد وثمود، هم كانوا من العرب ولكنهم بادوا هلكوا، لذلك سُمُّوا: العرب البائدة.

◄ **النوع الثاني**: العرب العاربة، وهم القبائل العربية التي قبل إبراهيم كقبيلة جُرْهُم مثلًا، وقحطان، ونحوهم.

◄ **أما العرب المستعربة**: فهم ذرية إسماعيل؛ لأن إسماعيل ابن إبراهيم وإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليس عربيًّا، نبي الله إبراهيم لم يكن عربيًّا، ولد في العراق في بابل وكان سريانيًّا، ولما أمره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يُحضر ولده إسماعيل إلى مكة، إسماعيل نشأ وتربى في قبيلة جرهم العربية، وتعلم منهم اللغة العربية وأصبح فصيحًا فيهم، وتعلم الفروسية منهم، وتزوج منهم، ثم تناقل أبناؤه اللغة العربية فانتقلت اللغة العربية إلى القبائل المستعربة من إسماعيل.

لذلك اسم إسماعيل اسم أعجمي، اسم إبراهيم اسم أعجمي وليس اسمًا عربيًّا، ولذلك في النحو إبراهيم يُمنع من الصرف، لماذا؟ للعلمية والعجمة، وكذلك إسماعيل للعلمية والعجمة فكل ذرية إسماعيل من العرب ولكن يسمونهم العرب: المستعربة، لماذا؟

لأنهم لم يكونوا عربًا ثم صاروا عربًا بعد ذلك، وهم أغلب العرب الآن القبائل العربية الآن هم في الحقيقة القبائل العدنانية وعدنان عنده ولدان: مضر وربيعة.

مضر: هو أب قريش، وأب جهينة، وأب القبائل العربية الحجازية غالبًا، وربيعة هو أب بكر بن والد وقبائل ربيعة الكثيرة المنتشرة في الأرض.

(المتن)

قال: (وله من العمر ثلاث وستون سنة)، يعني عاش النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثًا وستين سنة، (منها أربعون قبل النبوة)، فلم ينبأ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلا بعدما بلغ كم؟ أربعين سنة، وثلاث وعشرون نبيًّا ورسولا مجموعها: ثلاثة وستين، نبئ باقرأ وأُرسل بالمدثر.

(الشرح)

طبعا هذا يجرنا إلى الحديث عن الفرق بين النبي والرسول، والنبي: هو من أُوحي إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه، مجرد ما يوحى إليه من الله صار نبيًّا فإن أُمر بتبليغه فهو رسول، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (نُبئ): يعني: صار نبيًّا (باقرأ)، أول ما نزل عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقرأ، (وأرسل بالمدثر) ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ﴾[المدثر:١-٢]، أمر بالتبليغ فصار رسولًا.

(المتن)

قال: وبلده مكة.

(الشرح)

يعني التي نشأ فيها أو ولد فيها وفيها أجداده، وهاجر إلى المدينة.

(المتن)

بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، والدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[المدثر:١-٧].

ومعنى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أي عظمه بالتوحيد، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طهر أعمالك عن الشرك.

(الشرح)

وقد اختُلف في تفسير هذه الآية: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، قيل بعضهم: طهرها معنويًّا يعني المقصود بالثياب النفس وتطهيرها أي: أن تطهر قلبك من الشرك، ومن أمراض القلوب.

وقيل المقصود الطهارة البدنية، أو الظاهرية، وهي تطهير الثوب والبدن عن الأوساخ، ونحن نقول: نجمع بين القولين فلا مانع من أن يقصد بالآية الطهارة المعنوية، والطهارة الحسيَّة.

(المتن)

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرجز هي الأصنام، وهجرها تركها، والبراءة منها وأهلها، منها ومن أهلها، قال: أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد.

(الشرح)

بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمره أربعون سنة عشر سنوات كان همه الأكبر الدعوة إلى التوحيد، لذلك لم تشرع الشرائع أول الأمر ما كان هناك صلاة ولا كان هناك زكاة ولا كان هناك صوم ولا كان هناك حج، ماذا كان هناك؟ فقط الدعوة إلى التوحيد.

وبعد العشر (عرج به إلى السماء)، وفرضت عليه الصلوات الخمس الصلوات ما فرضت إلا بعد البعثة بعشر سنوات لما عرج بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماء بعد البعثة بعشر سنوات يعني قبل الهجرة بكم؟ بثلاث سنوات.

(المتن)

وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة، والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، هذا تعريف الهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة

(الشرح)

الهجرة في اللغة: الانتقال من بلد إلى بلد على سبيل الدوام، والهجرة في الاصطلاح الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، أو من بلد المعاصي والآثام إلى بلد الإسلام والإيمان.

وما حكمها؟ من حيث الجملة مشروعة واجبة، ولكن من حيث التفصيل؟

قال الحافظ بن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب **"فتح الباري"**: والهجرة ثلاثة أقسام، من حيث الحكم الشرعي:

⇦ **القسم الأول**: من كان في بلد الكفر ولا يستطيع إظهار شيء من دينه، ما يستطيع أن يصلي ولا أن يزكي ولا أن يصوم بحيث الكفار يمنعونه من إظهار الإسلام، فهذا يجب عليه الهجرة من هذا البلد وجوبًا، فإن لم يهاجر أثم ولم يعذر، وسيأتي الأدلة على ذلك.

⇦ **النوع الثاني**: من وجد في بلد الكفار ويستطيع أن يظهر دينه، ما أحد يمنعه من الصلاة، ولا من إظهار شعائره، ولا من أي شيء من أمور الدين، فهذا يستحب له الهجرة ولا تجب يستحب؛ لأنه يستطيع إظهار دينه ولكن يستحب الهجرة لتكثير سواد المسلمين وعدم تكثير سواد الكافرين.

ولأنه ربما يطلع على المنكرات فيعجز عن إنكارها، وربما ألفها، وهذا مصيبة، بل ربما المصيبة الأعظم: من يجلس ويأتي أبناؤه من بعده جيلًا بعد جيل ربما الجيل الأول، أو الثاني، أو الثالث ربما يتركون الدين، وهذا حدث في الهجرات في دول الغرب دول الكفار المهاجرون نفسهم ربما يتمسكون في دينهم، أبنائهم يخف شوي التمسك، أبناء أبنائهم يخف حتى يصل الجيل الرابع شبه منسلخين عن دينهم ما يذكرون من دينهم إلا الأسماء، وخلاص يذوبون في هذه المجتمعات لذلك ينبغي أن ينتبه لهذا.

⇦ **الأمر الثالث**: النوع الثالث من الهجرة كما ذكرها ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **"الفتح"**: العاجز عن الهجرة. فهذا لا نقول عليه واجب ولا مستحب لأنه عاجز فهذا معذور.

(المتن)

لذلك قال هنا: والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾[النساء:٩٧].

(الشرح)

يعني في بلد الكفر عاجزين عن إظهار إسلامهم ما يصلون ولا يصلون العيد ولا يصلون صلاة الجمعة ولا يزكون معطلة عندهم الشريعة، (﴿قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ﴾) تقول لهم الملائكة: لماذا مكثتم هنا ولم تهاجروا؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾، ما قدرنا نظهر ديننا، أجبرونا على أن لا نظهر ديننا، لماذا ما صليتم؟ يمنعوننا من الصلاة، لماذا ما صليتم العيد؟ يمنعوننا من أن نصلي العيد، يمنعوننا من أن نصلي التراويح فماذا يقال لهم؟

(المتن)

﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ ماذا مصيرهم؟ قال: ﴿فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:٩٧]. نسأل الله السلامة والعافية، قال استثنى النوع الثالث الذي ذكرناه قبل قليل قال: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾[النساء:٩٨].

(الشرح)

هذا النوع الثالث: هم العاجزون عن الخروج ما يقدرون، ما يستطيعون الهجرة فهؤلاء استثناهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ حتى العفو لاحظ أنه أُجل ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ ولم يجزم به ما قال: فأولئك يُعفى عنهم لخطورة ما هم فيه، (﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[النساء:٩٩]).وقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[العنكبوت:٥٦]).

مُنعْت من العبادة في هذه البلد أرض الله ماذا؟ واسعة تقدم إلى بلد لا تمنع فيه من العبادة فتعبد ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان، والدليل على الهجرة من السنة قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها".

(الشرح)

إذًا الهجرة باقية، أما قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» بعضهم فهم منه أن الهجرة انتهت نقول: لا، «لا هجرة بعد الفتح» أي: الهجرة إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما فتح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة خلاص فما في داعي الذي من مكة يهاجر إلى المدينة؛ لأن مكة أصبحت دار إسلام، بعدما فتحها المسلمون وأزالوا ما بها من الأصنام.

فقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لا هجرة بعد الفتح» ليس المقصود به لا هجرة أي إلى قيام الساعة، المقصود لا هجرة من مكة إلى المدينة بعد الفتح يعني فتح مكة، أما من غير مكة من بلدان الكفار الأخرى فالهجرة لا زالت باقية على حسب الضوابط أو الأنواع التي سمعناها.

(المتن)

قال: فلما استقر بالمدينة أمر ببقية شرائع الإسلام، مثل: الزكاة والصوم والحج والجهاد والأذان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(الشرح)

وغير ذلك من شرائع الإسلام، فالزكاة مثلًا شُرعت في السنة الثانية، والصيام شرع في السنة الثانية، والحج شرع في السنة التاسعة، والجهاد كذلك، والأذان أول الهجرة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام.

(المتن)

أخذ على هذا عشر سنين في المدينة وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه ودينه باقٍ بحمد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا وحذرها منه.

(الشرح)

وقد قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

فبعد وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا مجال للزيادة في الدين، ولا مجال للنقص من الدين، الدين كمل ما مات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا وقد كمل الدين، وقد قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه كما في المسند بسند صحيح أبو ذر الغفاري رضي الله عنه يقول: لقد مات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا وأخبرنا منه علمًا.

يعني: أرشدنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكل ما يصلحنا، ولكن قد يقول قائل: لكن القرآن محدود الكلمات، والسنة كذلك، والكون متطور، كيف أخبرنا بكل شيء رغم أن هناك أشياء مستجدة جديدة لم يتكلم عنها القرآن؟ نقول: الجواب: القرآن أخبرنا أو إخبار القرآن لنا على نوعين:

- النوع الأول: بشكل تفصيلي.
- النوع الثاني: بشكل إجمالي وقواعد عامة.

قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾[النحل:٩٠]، خلاص كل شيء في الكون يخضع تحت هذه الكلمات، ﴿وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:٩٠]، وقال سبحانه: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾[البقرة:٢٧٥].

البيع قديما سلم واستلم، ثم تطور وصار سوق مغلق، ثم تطور وصار الآن بالأجهزة الكمبيوتر، ثم تطور وأصبح الآن حتى في هاتفك النقال تستطيع تبيع وتشتري، ثم الله أعلم كيف سيتطور البيع هل هذه الأحداث والتطورات خرجت عن الآية؟ أبدا، كلها بيع وكلها داخل في الآية.

إذًا القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان عبر القواعد التي ذكرها، فهذا هو كمال هذا الدين.

(المتن)

قال: والخير الذي دل عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذر منه الشرك، وجميع ما يكرهه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويأباه، بعثه الله للناس كافة وافترض الله طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس، ولا شك.

والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:١٥٨].

وأكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

ثم مات صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بلغ عمره ثلاثًا وستين سنة وقد أدى الرسالة وبلغ الأمانة ونصح الأمة فمات.

والدليل على موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[الزمر:٣٠-٣١].

والناس إذا ماتوا يبعثون، والدليل قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ يعني: من الأرض، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ يعني إذا قبرتم فيها ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[طه:٥٥].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[نوح:١٧-١٨]، وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[النجم:٣١]، ومن كذب بالبعث كفر.

(الشرح)

لا شك من يُكذِّب بالبعث يعني يقول ليس هناك بعث فقد كفر بالله العظيم.

(المتن)

والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن:٧].

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[النساء:١٦٥]، وهؤلاء الرسل وأولهم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وآخرهم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الشرح)

والصحيح أن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو أول الرسل، أما آدم فإنه كان نبيًّا ولم يكن رسولا، وهناك فرق فإن الأنبياء أكثر من الرسل، فإن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا، فمن الأنبياء الذين هم ليسوا من الرسل آدم، فآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نبأه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وخاطبه، ولكنه لم يرسل إلى قوم معينين لأنه لم يكن إلا هو وزوجته وأولاده فقط، لا يوجد هناك كفار أساسا حتى يرسل لهم، ومكث البشر على الإيمان والإسلام عشرة قرون من نزول آدم عشرة قرون يعني ألف سنة، ألف سنة وهم على التوحيد.

حتى جاء قوم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهم أول من أحدث الشرك في الأرض عبر تجسيد الأصنام للخمسة الصالحين الذين هم: ود، سواع، يغوث، يعوق، نسرًا، وكانوا قوما صالحين فماتوا، فوسوس لهم الشيطان ودائما الشيطان لا يأتيك بشكل مباشر على الخطأ، وإنما يأتيك عبر خطوات:

الخطوة الأولى ماذا قال لهم؟ قال لهم: هؤلاء قوم صالحون وقد ماتوا، فمثلوا لهم تماثيل ودعوها في أماكنهم التي كانوا يجلسون فيها حتى إذا رأيتموها تذكرتم الصالحين، وفعلا صنعوا خمسة تماثيل لكل رجل من هؤلاء الرجال ووضعوها في بيته أو في مكانه أو في مكان بارز، ثم انقرض هذا الجيل وأتى أبنائه، والجيل الذي بعدهم والتماثيل باقية فقال أبناؤهم: هؤلاء هم الذين نجعلهم واسطة بيننا وبين الله، هم الذين يقربوننا إلى الله، وهكذا حتى عبدوهم مباشرةً.

خطوات، الشيطان حباله طويلة ويبذر البذرة الآن وينتظرها مئات السنين عادي، لذلك أمرنا نحن بسد الطرق التي تؤدي إلى الشرك حتى أنت ربما لا تقع في ذلك لكن ما تضمن أن يأتي بعدك من يقع في ذلك.

(المتن)

قال: والدليل على أن أوله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾[النساء:١٦٣].

قال: وكل أمة بعث الله إليها رسولًا من نوح إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾[النحل:٣٦].

(الشرح)

في كل أمة ما في جماعة من الناس عاشوا على هذه الأرض ليس لهم رسول، أبدًا، لم يخلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بشرًا ثم يتركهم هكذا دون رسالة أبدا.

إما أن يكون رسول معهم في نفس الوقت، أو يعيشون على تعاليم رسول ماذا؟ قبلهم، لكن أن يخلوا البشر في فترة من الفترات أو في مكان من الأماكن عن رسالة فهذا غير موجود، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ...﴾[النحل:٣٦].

(المتن)

وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله تعالى.

(الشرح)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، وابن القيم هو الإمام محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزي، المتوفى سنة (٧٥١).

(المتن)

قال: الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبودٍ، أو متبوعٍ، أو مطاعٍ.

(الشرح)

الطاغوت مأخوذة من الطغيان، والطغيان: هو مجاوزة الحد تقول: طغى الماء يعني جاوز حده، كان الماء هذا منسوبه ثم طغى يعني ارتفع عن حده وعن منسوبه المعتاد، وسمي الظلم طغيانا لأنه تعدي على حقوق الغير، إذا حصل هذا التعدي بشكل مبالغ فيه يسمى هذا الإنسان طاغوتًا، فالطاغوت إذًا هو الذي تعدى حده جدا وليس هناك أحد تعدى حده كمثل من ادعى الإلوهية، أو ادعى الربوبية، أو ادعى شيئا من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يعني: هذا ما تعدى على حق مخلوق هذا تعدى على حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لذلك ما يسمى فقط طغيان ولا يسمى فقط طاغية ما يكفي، حتى نسميه طاغوتا، فالطاغوت هو أقصى ما يتصور من درجات التعدي، والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة يعني أصولهم خمسة: إبليس لعنه الله وهذا رأس الطواغيت، ومن عبد وهم راضٍ.

يعني: يعبدونه شخصيا وهو راضي، وهذا لا شك أنه طاغوت، لماذا؟ لأنه تعدى حده جدا من الإنسان المخلوق إلى أن يريد أن يصير رب العالمين، مثل فرعون، فرعون ماذا قال؟ ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[النازعات:٢٤].

(المتن)

قال: ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه.

(الشرح)

كذلك هذا طاغوت، يقول: تعالوا اعبدوني كبعض الملوك، وبعض يعني الملوك في الحضارات السابقة كان يزعم أنه إله، أو أنه حلت فيه روح الإله أو شيء من هذا القبيل.

(المتن)

قال: ومن ادَّعى شيئًا من علم الغيب.

(الشرح)

لماذا يعتبر طاغوتًا؟ لأن علم الغيب خاص بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما يعلم الغيب إلا الله، فمن ادعاه فكأنما ادعى شيئا يختص بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

ومن حكم بغير ما أنزل الله.

(الشرح)

وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة:٤٤]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[المائدة:٤٥]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[المائدة:٤٧].

ولكن هنا لابد من تفصيل فليس كل من حكم بغير ما أنزل الله يخرج من الإسلام، لا شك أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنزل الشريعة لنعمل بها ونحكم بها، ولا يجوز أن نتجاوز الشرع وأن لا نحكمه في حياتنا، ولكن من لم يحكِّم الشريعة هل يكفر مباشرة؟

الجواب: لا، إذا لم يحكِّم الشريعة لازدرائها يكفر، من لم يحكِّم الشريعة لأنه يراها لا تصلح فهذا يكفر؛ لأنه طعن في الشريعة، من يحكِّم الشريعة لأنه رأى غيرها خيرًا منها يكفر، من لم يحكم الشريعة لأنه رأى غيرها مساوٍ لها يكفر.

❍ **أما من هو معترف بوجوب تحكيم الشريعة**، ويعلم أنه يجب عليه أن يحكم ولكن لسبب ما لم يحكم الشريعة؟ نقول: هذا لا يكفر، فإذًا هنا تفصيل مهم وليس الأمر على إطلاقه، ولا ينبغي المبادرة إلى تكفير الحكام كما يفعل بعض الناس الذين فيهم عجلة بمجرد أنه لم يحكم الشريعة، نقول: لا، أنت ماذا أدراك؟ ما تدري هل يعلم أو ما يعلم؟ أو هل هو جاهل؟ فلا يجوز المسارعة في ذلك.

ولكن هذا الحكم العام: أن من لم يحكِّم الشريعة معتقدًا أنها لا تصلح، أو معتقدًا أن غيرها أحسن منها، أو معتقدًا أن غيرها حتى لو مثلها هذا يكفر، أما من معترف بأنه يجب أن يحكم ومعترف بكل شيء ولكن لضغوط معينة، أو طمع في الدنيا، أو خوف من أحد، فهذا نقول: ما يكفر، هل يأثم أو لا؟ هذا أمره إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

والدليل قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[البقرة:٢٥٦]، وهذا معنى: لا إله إلا الله.

(الشرح)

معنى: لا إله إلا الله يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله.

(المتن)

وفي الحديث: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»، والله أعلم.

۞۞۞

وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفقنا وإياكم لكل خير، وأن يعيننا وإياكم على مرضاته، وأن يجنبنا وإياكم الخطأ والزلل، وأن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى.

سائل: يقول هنا: ما الضابط في عدم القدرة على إظهار الدين؟

الشيخ: الضابط: يعني إذا هُدد الإنسان بأن يخاف على نفسه، يعني في بلد كافر، ويريد أن يصلي يضربونه، يريد أن يصوم، ما يخلونه، مثل الآن موجود كما سمعت عنهم في الأخبار، في بعض البلدان، لا أدري في الصين، يفطرونه غصب في رمضان، ناس صائمة، أنا -لا أدري- ماذا يضرك لو صام؟! يعني ما سوَّى شيء، هو صام، امتنع عن الأكل، يفتحون أفواههم، ويسقونهم الطعام والشراب قهرًا.

هذا مثلًا ما يستطيع اظهار دينه، يريد أن يصلون، يُمنعون من صلاة الجمعة، هذا عدم اظهار، ما يُسمح لهم بقانون أن يصلون الجمعة مثلًا، هذا عدم اظهار دين، لا يُسمح لهم صلاة العيد مثلًا، وهكذا، هذا معنى عدم اظهار الدين.

سائل: يقول: حكم من تحدث عن شخص في مجلس وهو ليس موجود بصفات غير حسنة؟ أو صفات حسنة موجودة به؟

الشيخ: إذا تحدث عن شخص غير موجود بصفات غير حسنة هذه غيبة، النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**الغيبة ذكرك أخاك بما يكره**»، قالوا: يا رسول الله، أرأيت إن كان فيه ما أقول؟، يعني صدق ما كذبت، قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**».

سائل: يقول: هل يوجد من يُسمى بأهل الفترة الآن؟

الشيخ: ما فيه الآن من يُسمى بأهل الفترة، ما يوجد، ولكن السؤال: هل يوجد من لم تبلغه الشريعة؟ نقول: الله أعلم، قد وإن كان الآن في هذا الزمن بالذات نادر جدًّا مع تطور الاتصال، وتطور وسائل الإعلام، وسهولة الوصول للحق.

يعني الآن في هذا الزمن أي إنسان، لو يريد أن يبحث عن الحق سيجد الحق لكن قد يوجد أُناس تُعذر، وهذا أمر طبعًا تحديده ليس عندنا، هذا معذور، أم هذا غير معذور، ما هو عندنا، علمه عند رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولعلنا نكتفي بهذا، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.